

كتب قداسة البابا شنودة الثالث



www.st-mgalx.com

الكتاب المقدس الثالث

السنة الله والإنسان

[٢]

الوجود مع الله



البابا شنوده الثالث

سلسلة الله والإنسان

[٢]

الوجود مع الله

BEING WITH GOD
BY H.H. POPE SHENOUDA III

1st print
January 1982

الطبعة الأولى
يناير ١٩٨٢



معلمة مما ليس في القديس والغيرية
البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطرس الرسول الكرازة المرسية

البابا شنوده الثالث

سلسلة الله والإنسان

[٢]

الوجود مع الله

BEING WITH GOD
BY H.H. POPE SHENOUDA III

1st print
January 1982

الطبعة الأولى
يناير ١٩٨٢

باسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد - آمين

تصدير

نقدم لك أيها القارىء العزيز خمس محاضرات ألقيت في الكاتدرائية الكبرى أيام الجمعة من أول مايو ١٩٧٠ إلى ٥ يونيو ١٩٧٠ ، عن « الوجود مع الله » . وذلك في فترة الخمسين يوماً المقدسة ، والكنيسة تتذكر وجود التلاميذ في حضرة الرب ، في تلك الأيام المملوءة فرحاً .

وتطرق هذه المحاضرات إلى حقيقة الوجود مع الله والإحساس بهذا الوجود .

والأوقات التي نحس فيها أننا مع الله .
وشهوة الوجود مع الله .

والمشاعر والعلامات التي تصحب الوجود مع الله : مثل الحب ،
الفرح ، السلام ، الخشوع ، البر والقداسة ، الشجاعة وعدم الخوف ...

نقدمها لك بعد مرور أحد عشر عاماً على إلقائها ، لعلك لم تسمعها في ذلك الحين .

شنوده الثالث

[١]

الوجود مع الله

« الذين أراهم أيضاً نفسه حياً ، ببراكين
كثيرة ، بعدما تألم » ، « وهو يظهر لهم أربعين
يوماً ، ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت
الله » .

(أع ١ : ٣)

هذه الأربعين يوماً ...

أود أن أكلّمكم اليوم عن هذه الأربعين يوماً ، التي قضّاها المسيح مع تلاميذه بعد القيامة ، وعن دلالاتها ، والفوائد الروحية التي نجنبها منها ...

أعمال كثيرة عملها الرب قبل صلبه وموته عنا ، وأعمال أخرى عملها بعد قيامته ... فقد قضى هذه الأربعين يوماً مع تلاميذه ، يحدثهم عن الأمور المختصة بالملكوت :

يضع لهم أساس الكنيسة ، ويسلمها عقائدها وطقوسها ، يسلمهم الأمور الخاصة بالرعاية ، ويشبّتهم في الإيمان ...

يخوّلهم من الخوف والفرع والاضطراب والشك ، إلى اليقين والقوة ، في صلابة الإيمان . يجعلهم بعد الأربعين يوماً مستعدين أن يجابهوا العالم كله بقلب قوى . لقد أخرج من العلية هؤلاء الخائفين المختبئين ، لكي ينشروا لإيمان في العالم كله ...

كانت أياماً لازمة لتأسيس الكنيسة . وكانت أيام فرح :

لقد قال لهم الرب من قبل « ولكن حزنكم يتحول إلى فرح ... سأراكم فتفرح قلوبكم . ولا ينزع أحد فرحكم منكم » (يوحنا ١٦ : ٢٠ ، ٢٢) .

واحتفالاً بهذا الفرع ، لا تصوم الكنيسة ، ولا تنقطع عن الطعام ، لأن الرب قال : هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم ؟ ! مادام العريس معهم لا يستطيعون أن يصوموا ، ولكن ستأتي أيام ، حين يرفع العريس عنهم ، فحينئذ يصومون (مر ٢ : ١٩ ، ٢٠) .

ولذلك فحتى صوم يومى الأربعاء والجمعة ، الذى تصومه الكنيسة على مدار السنة ، ولا تمنعه سوى الأعياد السيدية الكبرى ، هذا الصوم يمتنع فى هذه الأيام ، التى لا نذكر فيها الصلب ولا التآمر ، إنما نذكر وجود الرب مع تلاميذه ...

أيام الفرع هذه ، أيام لقاء الرب بخاصته وأحبائه ، ليس فيها أيضاً مطانيات تذلل ، ولا فيها ألحان حزن ... حتى أنه إذا توفى خلالها أحد المؤمنين ، يدخل الكنيسة بلحن الفرع ، بلحن القيامة ، ولا تسمعون مطلقاً لحنا حزينا فى الحنازات ...

إنها أيام جميلة فى اختبارتها الروحية ، وفى أحداثها ، وفى فاعليتها . وأفضل تدريب فيها هو اختبار الوجود مع الله ...

الله مع أحبائه ...

كان التلاميذ فرحين إذ رأوا الرب (يو ٢٠ : ٢٠) .

وكان الرب فرحاً أيضاً بوجوده وسط أحبائه .

هذا الذى « أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى »
(يو ١٣ : ١) ... إنه يريد أن يكون معنا ، وأن نكون نحن أيضاً معه ، الآن
والى إنقضاء الدهر ...

أليس اسمه عمانوئيل ، الذى تفسيره الله معنا (مت ١ : ٢٣)

لذلك قال لتلاميذه فى يوم الخميس الكبير :

« أنا ماض لأعد لكم مكاناً . وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً ،
أتى أيضاً وأخذكم إلى ، حتى حيث أكون أنا ، تكونون أنتم
أيضاً » (يو ١٤ : ٣) .

ونفس هذا المعنى ، قاله فى مناجاته للآب :

« أبها الآب ، أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى ، يكونون معى
حيث أكون أنا » (يو ١٧ : ٢٤) .

إنه لا يريد فقط أن نكون معه فى الأبدية ، إنما يعدنا بذلك على
لأرض أيضاً ، فيقول « ها أنا معكم كل الأيام والى إنقضاء الدهر »

(متى ٢٨ : ٢٠) وأيضاً « حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمى ، فهناك أكون في وسطهم » (متى ١٨ : ٢٠) .

وبالنسبة إلى كل فرد يحبه ، يقول « إن أحبني أحد يحفظ كلامي ، ويحبه أبي ، وإليه تأتي ، وعنده نصنع منزلاً » (يوحنا ١٤ : ٢٣) .

وليس فقط عن الأحباء ههنا ، بل أيضاً عن الذين انتقلوا إلى الفردوس ، قال للمسيح اليمين « اليوم تكون معي في الفردوس » (لوقا ٢٣ : ٤٢) .

ومع الخدام والرعاة ، يقول عنه سفر الرؤيا « الممسك السبعة الكواكب في يمينه ، الماشي في وسط السبع المناثر الذهبية » (رؤيا ١ : ٢) أي أنه في وسط الكنائس ، وفي يديه رعاتها ...

هذا الذي يوجد معنا ، على الأرض ، وفي الفردوس ، وفي الأبدية ، في وسط الكنائس ، ومع الرعاة ، ومع المصلين في كل مكان على الأرض ، ومع كل إنسان يحبه ...

تري على أي شيء يدل هذا ؟

أيدل هذا على محبته ، أم على لاهوته إذ هو في كل مكان ؟ أم على الأقل ... وجوده معنا ...

أيضاً في مجيئه الثاني ، نلمح نفس هذه الحقيقة : سيأتي على السحاب ، ومعه ربوات قديسيه (يه ١٤) . وحينئذ يجلس للدينونه ، يكون أحبائه معه « ... على اثني عشر كرسيّاً ، يدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر » (متى ١٩ : ٢٨) .

وفي هذا المجيء الثاني ، يقول القديس بولس الرسول :
« ثم نحن الأحياء الباقين ، سنخطف معهم جميعاً في السحب ، لملاقاة الرب في الهواء . وهكذا نكون كل حين مع الرب . لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام » (١ تس ٤ : ١٧ ، ١٨) .

نعم ، ما أحلى هذه الانشودة : ونكون كل حين مع الرب .
لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام ...
حقاً ، إن الوجود كل حين مع الرب ، هو « ما لم تره عين ، وما لم نسمع به أذن ، ولم يخطر على قلب بشر . »

ما أجمل أن الرب في التجلي ، لم يكن وحده ...

ظهر معه في هذا التجلي موسى وإيليا ، رمزاً للمتزوجين والبتولين ،
ورمزاً للذين ماتوا والذين لم يموتوا بعد ، ورمزاً لأهل الوداعة يمثلهم
موسى (عد ١٢ : ٣) ، وأهل الحزم يمثلهم إيليا (١ مل ١٨ : ٤٠) . الكل
مع الرب على جبل التجلي ...

ولكى تكمل الصورة ، فى حادثة التجلى . قال الكتاب إن الرب أخذ
سمعه إلى الجبل بطرس ويعقوب ويوحنا (متى ١٧ : ١) ... فكانوا معه ..
ورأوا هذا المجد ، وسمعوا الصوت من السحابة ...

ومجد التجلى ، يذكرنا أيضاً بأورشليم السماوية ، حيث نرى الله يسكن
مع شعبه . وفى ذلك يقول القديس يوحنا الراى : وسمعت صوتاً عظيماً
من السماء قائلاً :

« هوذا مسكن الله مع الناس . وهو سيسكن معهم » ،
« وهم يكونون له شعباً . والله نفسه يكون معهم ، إلهاً
لهم » (رؤيا ٢١ : ٣) .

إنها نفس الصورة القديمة لخيمة الاجتماع « الله وسط شعبه » .
ولكنها هنا فى مجد وحب وبر ، حيث لا خطية من الناس تحتاج إلى
ذبيحة ، بل الكل طاهر ...

كل هذا نتذكره فى الأربعين يوماً ، ونحن نضع أمامنا صورة الرب
وسط تلاميذه القديسين ، أحبائه وأولاده ...

إننا فى هذه الأيام نحتفل بوجود الله معنا ، أو على الأقل نطلب إليه
ذلك ، كما فعل تلميذا عمواس ، إذ « ألزماه قائلين :

أمكث معنا ، لأنه نحو المساء ، وقد مال النهار (لوقا ٢٤ : ٢٩)

يقول الإنجيل ، مكملاً هذا المعنى الجميل ، إنه « دخل يمشي معها .
ولما اتكأ معها ، أخذ خبزاً وبارك وكسر ، وناولها . فانفتحت أعينها
وعرفاه » ...

ما أحوج كلاً منا أن يقول له : امكث معي يا سيدي . وكما باركت
في ذلك الزمان ، الآن أيضاً بارك ...

من ذلك الزمان ...

إن قصة « الله معنا » هي قصة قديمة ، ودائمة ... ما أكثر ما ترددت في
الكتاب ، وسمعتها واختبرها آباؤنا القديسون ..

بدأت منذ كان الله مع آدم في الفردوس ...

وهناك كان يكلمه ، و يباركه ، ويمنحنا أيضاً سلطاناً (تك ١) .
وبالخطية زال الإحساس بالوجود في الحضرة الإلهية ، وشعر الخاطيء
بانفصاله عن الله . وظهر هذا الانفصال في عمقه ، حينما صرخ قايين قائلاً
للرب « ذنبي أعظم من أن يحتمل . إنك قد طردتني اليوم عن وجه
الأرض ، ومن وجهك أختفي » (تك ١٤ : ١٣ ، ١٤) .

نعم ، إن الخطية تسبب انفصالاً عن الله ...

فيها يصرخ الخاطيء ويقول « لا تطرحني من قدام وجهك ، وروحك
القدس لا تنزعه مني » (مز ٥٠) « لا تصرف وجهك عني » « حتى متى
تجيب وجهك عني » (مز ١٢) .

حيثما يبتعد الإنسان عن الله ، يحس الله مبتعداً عنه ...

وأحياناً يحس ذلك وقت الخوف . والخوف ليس من الإيمان .

وهكذا يقول المرتل في خوفه من مؤامرات الأشرار « لماذا يارب تقف بعيداً . لماذا تختفي في أزمنة الضيق ؟ » (مز ١٠ : ١) .

لذلك يحرص الله أن يعزى أولاده ، و يشعرهم بوجوده معهم في كل ضيقاتهم . وهكذا قال لعبده يشوع بعد موت موسى :

« كما كنت مع موسى ، أكون معك . لا أهملك ولا أتركك »

تشدد وتشجع . لا ترهب ولا ترتعب . لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب ... لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك » (يش ١ : ٥ ، ٩) .

نفس التشجيع ، كان أيضاً من الله لأرمياء الصغير :

« لا تخف من وجوههم ، لأنني أنا معك لأنقذك ، يقول الرب »
« يحاربونك ولا يقدرُونَ عليك ، لأنني أنا معك يقول الرب ، لأنقذك »
« هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة ، وعمود حديد ، وأسوار نحاس على كل الأرض » (أرم ١ : ٨ ، ١٩ ، ١٨) .

نفس التشجيع الذي كان ليشوع وأرمياء ، كان أيضاً لبولس :

قال الرب لبولس لما قاومه اليهود جداً في كورنثوس :

« لا تخف ، بل تكلم ولا تسكت . لأني أنا معك ، ولا يقع بك أحد ليؤذيك » (أع ١٨: ٩، ١٠) .

إن الشعور بوجود الله مع الإنسان ، يعطيه قوة وثقة .

لهذا فإن مراحم الله وتعزياته تشعر الإنسان بوجود الله معه ، لكي يتعزى ويتقوى ، وتكون له جسارة قلب ، من النعمة ، لمواجهة كل ضيق ، فلا يخاف من أعدائه مهما اعتزوا جداً ...

وفي قصة الثلاثة فتيه ، لم يكن الأمر مجرد وعود إلهية . إنما كان الرب معهم فعلاً ، وهم في أتون النار ، فلم تقو على إيذائهم ، وسبحوا الله داخل الأتون ...

إن قصة الثلاثة فتيه مثال قوى للوجود مع الله .

وقد كانت هذه القصة مصدر عزاء عميق للأجيال ، ونحن نتغنى بها في التسبحة كل يوم حينما نرتل الابصلمودية ...

وكما أن الثلاثة فتيه لم يخافوا النار لشعورهم بأن الله معهم ، كذلك لم يخف دانيال من إلقاءه في جب الأسود ... وكذلك كان المرتل مطمئناً ، حينما قال :

« إن سرت في وادى ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معي » (مز ٢٣: ٤) .

وبنفس الروح قال « الرب نورى وخلصى ممن أخاف ؟! ... إن يحاربني جيش فلن يخاف قلب . وإن قام على قتال ، ففى ذلك أنا مطمئن » (مز ٢٧ : ١ ، ٢) .

طالما السحابة فوق رأسك ، فأنت لا تخاف حتى إن دخلت فى قلب البحر الأحمر ، أو تبت سنوات فى برية سيناء ..

إن الشعور بالوجود فى حضرة الله ، لا يجعل الإنسان يخاف ، مهما كانت الأخطار معدة . وأيضاً هناك فائدة أخرى :

شعورك بالوجود فى حضرة الله ، يمنحك استحياء فلا تخطئ .

هكذا كان يوسف الصديق ... كان يشعر أنه واقف قدام الله ، والله يراه . فكيف يخطئ ، ويفعل ذلك الشر العظيم قدام الله !! وهكذا شعوره بأنه يتعامل مع الله ، أعطاه إستحياء فى قلبه ، وارتفاعاً عن مستوى الخطية .

حقاً ، إن الإنسان أثناء إرتكابه للخطية . لا يكون فى حالة شعور بالوجود فى الحضرة الإلهية ... لا يكون الله أمام عينيه ، ولا فى فكره ، ولا فى قلبه ... بل يكون فى حالة إنفصال عنه ، لأنه لا شركة للنور مع الظلمة .

على أنه كثيراً ما يحيط بنا الله وقت الخطية ، لكى ينقذنا منها ، كما يحيط بنا وقت الخطر أو الخوف لينقذنا منها ... ولكننا للأسف قد لا نشعر

بيد الله التي تلمسنا لنستيقظ ، أو تلمسنا لتتقوى . ما أعمق قول القديس
اوغسطينوس :

كنت يارب معي ، لكنني من فرط شفتي ، لم اكن معك .

إن وجود الله شيء ، والإحساس بوجوده شيء آخر ..

عدم إدراك وجود الله ...

قد يكون الله مع بعض الناس ، ومع ذلك فهم لا يشعرون بوجوده
معه ، ربما لشيء في فكرهم ، أو لظروف تحيط بهم ، تعوقهم عن
الإحساس بوجود الله وعمله ..

*** مثال ذلك : جدعون ...**

كان الله معه . وقد شهد ملاك الرب بذلك قائلاً له : الرب معك
يا جبار البأس (قض ٦ : ١٢) . أما جدعون الذي لم يكن يشعر بوجود الله
في حياة الشعب ، فقد ردّ على الملاك قائلاً « اسألك ياميدى : إن كان
الرب معنا ، فلماذا أصابتنا كل هذه ؟ وأين كل عجائبه التي أخبرنا بها
آباؤنا ؟ ... » .

كان إيمان جدعون في بداعته ، يريد أن يلمس بأصابه ...
ولم يكن يتصور وجود الله ، يتفق مع وجود الضيقات !!

في منطقته وقتذاك : إما أن يكون الله موجوداً معهم ، وحينئذ لا يمكن أن تصيبهم الضيقات ... ! وإما أن تكون الضيقات الموجودة دليلاً على عدم وجود الله معهم ... !

إنه الإيمان ، بدون الصليب ! أو الإيمان الذي يريد الحياة سهلة ! أو الإيمان الذي يضع الله توقيتاً عاجلاً لعمله ، ولا يستطيع أن ينتظر الرب من محرس الصبح إلى الليل (مز ١٣٠) .

✱ مثال آخر : المجدلية ، وتلميذا عمواس ...

المجدلية ظهر لها السيد المسيح بعد قيامته ، فظنته البستاني . وكان معها ولكنها لم تعرف أنه هو . وعلى الرغم من وجوده معها ، كانت لا تزال تفكر أن جسده قد سُرق ، وربما يكون البستاني قد سرقه ، وتساءل : قل لي أين وضعته ؟ ! (يو ٢٠ : ١٤ ، ١٥) .

وتلميذا عمواس ، ظهر لها أيضاً السيد المسيح ، وتحدث معها ، ومع أن قلبها كان ملتبهاً فيها أثناء حديثه معها ، ولكن «أعينها أمسكت عن معرفته» . ولم يدركا أنه هو ، إلا بعد اختفائه عنها ! (لو ٢٤ : ١٦ ، ٣٢) .

ما أكثر ما يكون الرب معنا ، ونحن لا ندرك !

✱ مثال صموئيل النبي :

تحدث إليه الرب ثلاث مرات في طفولته ، وهولا يميز الصوت ،

بعض أنه صوت عدو الكاهن ، وليس صوت الله !

وفي امرة الرابعة ، لما أجاب « تكلم يا رب فإن عبدك سامع » كان
ماء على نصيحة عالي ، وليس لموهبة تمييز (١ صم ٣ : ٤ - ١٠) . ولكن
سموئيل عما في الروح ، وصار يشعر بالوجود الإلهي ، ويميز صوت الله ،
كلم إليه أو على فمه .

مثال أبينا إبراهيم :

زاره الرب مع ملاكين ، ولكنه لم يميز أن هذا هو الرب ، ولم يشعر
لوجود الإلهي ، بدليل قوله له : « ياسيد ، إن كنت قد وجدت نعمة في
بنيتك ، فلا تتجاوز عبدك . ليؤخذ قليل من ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا
تحت الشجرة . فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم
ازون » (تك ١٨ : ٣ - ٥) .

ولو شعر أنه موجود في حضرة الله وملائكته ، ما كان يحضر كسرة خبز
تسندوا قلوبهم ! ما كان يذبح عجلاً ، ولا يصنع لهم خبز ملة ، ولا يحضر
م زبداء ولبناً .. !

على أن أبانا إبراهيم أدرك أنه في حضرة الله فيما بعد ، لما أعلن له الله
٤ .

مثال اللص الشمال :

كان إلى جوار الرب على الصليب . لم يستهزأ به . بل ظل يستهزأ به لإلهية ، بل كان يحدف به . ولم يدرك أنه هو ، حتى يقول له مع ربك اللص اليمين « اذكرني بأرب متى حنت في ملكوتك » . بل ظل يستهزأ به ومات هذا اللص في خطيئته ولم يستطيع أن يقول مع بولس الرسول « مع المسيح صلبت » (غل ٢ : ٢٠) لأنه لم يؤمن أنه المسيح . إنه لم يمت مع المسيح كاللص اليمين وإنما مات إلى جواره ، وقلبه بعيد عنه .

مثال الظلمة لم تدركه :

عاش المسيح وسط أهله وعشيرته ، ولم يدركوا أنه هو . « إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله » هذا النور الحقيقي أشرق في الظلمة « والظلمة لم تدركه » (يوا : ١ ، ٥ ، ١١) . ومع أنه عاش بينهم ، لم يشعروا بوجوده . بل قالوا عليه إنه ضال ، ومضل ، وكاسر للسبت ، وناقض للشرعية ، وقالوا إنه ببعلزبول يخرج الشياطين . ورفضوه وقدموه للصلب ...

وحتى أهل قريته لم يؤمنوا به ، وعيرووه بأنه ابن النجار ، حتى قيل « ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه » !

كل هؤلاء وأمثالهم ، كان الله موجوداً معهم ، ولكنهم لم يتمتعوا بالوجود الإلهي ، ولم ينالوا بركته وفاعليته .

إن الوجود مع الله ، ليس مجرد وجود مكاني ، إنما هو وجود قلبي
عاطفي وعمل ، له آثاره ...

١ مثال الشيطان :

في قصة أيوب . كان الشيطان واقفاً في الحضرة الإلهية « جاء بنوا الله
شكوا أمام الرب . وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم » (أى ١ : ٦) . ومرة
خرى « جاء الشيطان أيضاً في وسطهم ، ليمثل أمام الرب » (أى ٢ : ١) .
كان له شرف الحديث مع الله . ولكنه لم يستفد شيئاً ، ولم يتمتع بالوجود
، حضرة الله ، بل أضاف إلى شره شراً .

وفي التجربة إلى الجبل ، التقى الشيطان بالرب ، وبنفس الأسلوب
نصاف إلى شره شراً ، ولم يتمتع بالوجود مع الله .

أمثلة بعض الخطاة :

قايين وقف أمام الله مرتين : مرة نصحه فيها الرب وأرشده ، ولكنه لم
يستفد شيئاً لأن قلبه لم يكن مع الله ، واستسلم للخطية الرابضة . والمرة
لثانية وقف في الحضرة الإلهية ، ولم يتمتع بالوجود الإلهي ، إنما استمع إلى
ينونته (تك ٤ : ٦ ، ٩) .

والشباب الغني تمتع بالحضرة الإلهية إلى لحظات ، ونظر إليه الرب
سوء وأحبه . ولكنه خرج من المقابلة حزينا ، لأنه كان ذا أموال كثيرة ،
لم يستفد من نصيحة الرب .

وبالمثل أولئك الذين سخطوا بربنا فاعتدروا

وبالمثل العبد البطل ...

ويعوزنا الوقت ان نضربنا أمثلة لأشخاص وسدوا في حضرة الله وه
يستفيدوا بل أدينوا . لذلك قلنا إنه ليس وجوداً مكانياً هذا الذي نعنيه ،
بل وجوده في القلب ، في حب ...

إن كانت مأساة ، أنك توجد في حضرة الله ، ولا تشعر به فمأساة
أكثر أن توجد في حضرته وتحاربه ، وتأخذ دينوته ، أو توجد في
حضرته في لا مبالاة .

كالذين يحضرون إلى الكنيسة ، يقفون أمام الله ، في بيته ، بنهاون ،
أو بفكر شارد . أو الذين يتناولون من الأسرار المقدسة ، كعادة ، بلا
عمق ، ويخرجون من لتناول ليخطئوا كما كانوا ...

لذلك كله ، نحب أن تكون المشاعر متناسبة مع الوجود الإلهي .

وكم من مرة ، تقابل مع الرب الكتبة والفريسيين والصدوقيين
والكهنة وشيوخ الشعب . ولكن قلوبهم لم تكن معه ، وبهم لم تكن صلة
لإستفادة منه ، بل أن بعضهم كان يسمى أن يخدمه بخدمة بئس
كان وجودهم مع الرب ديانة عليهم وليس معاً .

كذلك الفريسي الذي استقصاه في سته وليس في نفسه ، وكان يرقب
والمرأة الخاطئة تسكب دموعها على قدميه ، ويديه في فكه . وه يستفيد
من الوجود في حضرة الله .

مشاير تناسب الوجود مع الله ...

١ - ينبغي أولاً أن يكون لنا الإيمان بوجود الله معنا .

الإيمان بوعوده ، والإيمان بمحبته ، والإيمان بعمله .

ولا يجوز لنا أن نقيس وجود الله معنا بالراحة في العالم . فالمشاكل والضيقات ليست علامات للتخلي ، وليست دليلاً على عدم وجود الله معك . الله سمح بها ، لتأخذ ما فيها من بركة ، ومن أكاليل ، ومن فوائد روحية . وهى تصيبك لكى تظهر معدنك الطيب كما حدث لأيوب ، ولكى تأخذ منها خبرة في الحياة . وأيضاً لكى تتزكى ، ولكى تقويك وتصقلك .

إن أسعد أوقات اللص اليمين ، كانت وهو مصلوب مع المسيح .

كن إذن شديداً في الضيقة . لا تجعل الضيقة تحطمك ، وإنما حطمها أنت بإيمانك . إن الزجاجة إذا وقعت على صخرة ، لا تتحطم الصخرة ، وإنما تتحطم الزجاجة . كن إذن صخرة ...

٢ - لا تعتبر وجود الله في حياتك مؤقتاً ، بل دائماً .

إن المسيح لم يكن مع تلاميذه خلال الأربعين يوماً فقط ، وإنما « كل أيام وإلى انقضاء الدهر » ...

إن كان معهم في الأربعين يوماً بطريقة منظورة ، فقد كان معهم كل الأيّام بطريقة غير منظورة . وكانوا يؤمنون بهذا . بل أن بولس الرسول يقول

« لكى أحيأ لا أنا ، بل المسيح يحيا فقى » (غل ٢ : ٢٠) . إذن كان يؤمن أن المسيح ليس فقط معه ، وهو بالأكثر فيه ...

لذلك إن حوربت بأن الله ليس معك ، قل لنفسك : كلا ، إنه معى ، ولكننى أنا الذى لا أدرك وجوده ، كما حدث مع المجدلية ... العيب إذن فىنا ، وليس فى عدم وجوده .

٣ - لذلك ينبغى أن تكون حواسك الروحية مدربة وإن لم تدرك وجوده مباشرة ، فستدرك ذلك بالتدريج .

المجدلية لم تدرك وجوده ، وظنته البستانى . ولكن الرب عمل فيها ، فشعرت به أخيراً ، وقالت له « رابونى » أى يامعلم .

والمولود أعمى ظن أنه إنسان بار ، ثم نبى . ولما حدثه الرب عن ابن الله ، سأل : من هو لاؤمن به ، إذ لم يكن إلى تلك الساعة يعرفه . على أنه عرفه أخيراً وآمن وسجد له (يوحنا : ٩ : ٣٥-٣٨) .

السامرية أيضاً عرفتة أيضاً بالتدريج وليس من أول وهلة . والتلاميذ ظنوه أولاً خيلاً أو روحاً ، ثم آمنوا أخيراً (لوقا : ٢٤ : ٣٧) . ولم يؤمنوا فقط ، بل نشروا الإيمان فى كل مكان . وقالوا عنه : الذى رأيناه وسمعناه ولمسته أيدينا (يوحنا : ١ : ٣) .

لا تتضايق إذن إن كان إدراكك ضعيفاً لوجود الله في حياتك . إنما عليك أن تصلى وتقول [أعن يارب ضعف إيماني] وثق أن قوته في الضعف تكمل (٢ كو ١٢ : ٩) .

ملاحظة أخرى هامة جداً أقولها لك ، وهي :

٤ - لا يكفي أن يكون الله معك ، إنما يجب بالأكثر أن تكون أنت أيضاً معه ... لك معه شركة .

وليتك تأخذ درساً من ملائكة الكنائس السبع في آسيا لم يكن الرب فقط معهم ، وإنما كان أيضاً ممسكاً بهم ، وكانوا في يمينه (رؤ ٢ : ١) . وعلى الرغم من هذا يقول الرب لملاك كنيسة أفسس « عندى عيك أنك تركت محبتك الأولى . فاذا كر من أين سقطت وتب ... وإلا فإنى آتاك عن قريب ، وأزحزح منارتك من مكانها إن لم تتب » (رؤ ٢ : ٤ ، ٥) ... عجيب أنه في يمين الله ، وقد سقط ، ويحتاج إلى توبة ... !

وأخطر من هذا ملاك كنيسة لاودكية الذى يقول له الرب « أنا عارف أعمالك أنك لست حاراً ولا بارداً ... هكذا أنا مزعم أن أتقيأك من فسى . لأنك تقول إني أنا غنى ... ولست تعلم أنك أنت الشقى والبائس وفقير وأعمى وعريان ... فكن غيوراً وتب » (رؤ ٣ : ١٥ : ١٩) .

وأخطر من هذين ملاك كنيسة ساردس ، الذى يقول له الرب : إن لك اسماً إنك حى وأنت ميت (رؤ ٣ : ١) ... ومع ذلك كان يسمي الله ، الرب ممسك به .

إذن لا يكفي بأن يكون الله معك ، إنما كن أنت أيضاً معه ، بكل
القلب والفكر والحواس والإرادة .

٥ - ولتكن لك المشاعر اللائقة بالوجود في حضرة الله .

ولعل منها الخشوع . فإن يشوع النبي لما أحس أنه أمام رئيس جند
الرب ، يقول الكتاب « فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض وسجد . وقال
له : بماذا يكلمه سيدي عبده » (يش ٥ : ١٥) . وخنع نعله من رجله ، لأن
المكان الذي كان واقفاً فيه مقدس .

وهكذا فعل موسى النبي أيضاً ، حينما ظهر له الرب وكنمه في
العليقة التي لا تشتعل (خر ٣ : ٥) .

وكما يليق الخشوع بالوجود مع الله ، كذلك يليق البر .
لأنه « أية شركة للنور مع الظلمة » (٢ كو ٦ : ١٤) .

و يليق بالوجود مع الله الفرح ، فقد فرح التلاميذ لما رأوا الرب
(يو ٢٠ : ٢٠) . كذلك تليق مشاعر أخرى كثيرة من الحب والسلام ...
وغيرها .

وسنتكلم عن هذا كله بالتفصيل في المحاضرات المقبلة إن شاء الله .

غير أنني أود أن أختم بملاحظة هامة وهي أن فترة الوجود مع الله هي
فترة حب ، تليق بها سرية العلاقة الشخصية .

مشاعر تحفظ في سرية ...

أربعين يوماً قضاها المسيح مع تلاميذه ، ومع ذلك لم يسجل الكتاب ما دار في هذه الأيام من مشاعر ومواقف ، إنما جملها سفر أعمال الرسل في عبارة بسيطة . أما الأناجيل فأشارت بالأكثر إلى شكوك التلاميذ وضعفاتهم وكيف عاجلها الرب . ولم تذكر لنا حتى تفاصيل يوم واحد من الأربعين يوماً ...

هنا وأتعجب من الذين يقفون أمام الناس ليحكوا اختباراتهم !!

أين اختباراتكم هذه من اختبارات آباءنا الرسل ، الذين لم يسجلوا منها شيئاً ، ولم يذكروا سوى ضعفاتهم وشكوكهم ...

إن حياة الحب والعشرة مع الله ، هي قدس أقدر ، يليق بها الصمت . والحديث عنها تعليم غير كتابي ...

مريم أخت لعازر ، إختارت النصيب الأفضل ، وجلست عند قدمي المسيح ، تتأمله ، وتستمع إليه ، ولكنها لم تذكر شيئاً من كل هذا ، ولا سجل الكتاب شيئاً منه ... إنه قدس أقدر .

وموسى النبي قضى مع الرب أربعين يوماً على الجبل ، دون أن يحكى ماذا قال له الرب فيها ، ربما أعماق تلك العشرة ..

واخنوخ ، الذى لم يموت ، سجلت حياته كلها فى عبارة واحدة تفريفاً
هى « وسار اخنوخ مع الله ، ولم يوحّد لأن الله أخذه » (تك ٢٤ : ٥) . ولم
يشرح الكتاب كيف سار اخنوخ مع الرب ، ولا اخنوخ تحدث عن هذا
إنه قدس أقداً .

وبولس الرسول صعد إلى السماء الثالثة ، ولكنه لما نزل ما قص علينا
شيئاً مما رآه ، بل قال إنه « سمع كلمات لا ينطق بها ، ولا يسوغ لإنسان
أن يتكلم بها » (٢ كو ١٢ : ٤) .

لماذا يا معلمنا بولس العظيم لا تحكى لنا اختباراتك ، كما يحكى أبناء
اليوم ؟! مبارك هو صمتك . إنه أيضاً قدس أقداً .

بل أكثر من هذا مريم العذراء ، فى كل عشتها مع المسيح ، لعنا
نقول : ليتها حكّت لنا تلك الثلاثين سنة التى عاشها المسيح قبل خدمته
الجهارية ، تلك التى ختم عليها بالصمت ... لقد صمتت العذراء . وكانت
تحفظ كل هذه الأمور متأملة بها فى قلبها (لو ٢ : ٥١) .

إن الصمت وليس الكلام ، هو الذى يليق بالروحانيات والحب الإلهي
والعشرة مع الله ، مثلها صمت التاريخ عن تأملات القديس الأنبا بولا
السائح خلال ثمانين عاماً فى الوحدة .

هكذا صمت التلاميذ عن الأربعين يوماً . وما حدثهم لمسيح عنه
من الأمور المختصة بمكوث الله ، ظهر فى حياتهم وممارساتهم ، ووصل إلينا
بالتقليد ، أكثر مما وصل بالكلمة .

ولعلك تقول : لماذا لم يتكلم هؤلاء جميعاً ، لتتعلم من حياتهم ؟
بل لك : عش مثلهم ، وأنت تعرف حينئذ ما أحفوه .

الاجلس عند قدمي المسيح ، مثل من جلس مع مريم ، وحينئذ سيفول لك ما
لها ، أو ما يأسسك من أحاديث أخرى ...

وإن أحسنت المسيح ، كما أحبه رسول ، وتركوا كل شيء وتبعوه ،
سيئذ سيحدثك مثلهم عن الأمور المختصة بمكوث الله ، ليس فقط على
الأربعين يوماً ، وإنما طويلاً .

فتفتح قلبك له ، وهو بموته حياً ، فتفتح قلبك له ، وهو يصنع فيه أجمل
أحداث . عش معه ككلياتك ، عصف من موته ونعمته وقوته ،
سيئذ تقرب مع دود في المزمور :

« إني اسمع ما يتكلم به الرب لاه » .

أما إن أردت أن يحدثك الرب وأن يعطيك ، لكي نشرح
خبرين ونحكي ، فإنك تكون قد خرجت من سرية الحب ، وبدلاً
من المغلق صرت تبوق فدامك بالبوق .

أما إن احتفظت بفسدية لعلاقة وسريتها ، فإن الرب يقول عنك
حتى العروس جنة معلقة ، عن مفهنة . (يسوع مختوم) (نش : ٤ : ١٢) .

يت هذه المحاضرة في الكاتدرائية الكبرى ، القاهرة يوم الجمعة ١٠ ٥ ١٩٧٠ م .

[٢]

أوقات الإحساس بالوجود مع الله

« حَفِّظْ إِنْ الرَّبُّ فِي هَذَا الْمَكَانِ ،
وَأَنَا لَمْ أَعْبُدْ » .

(تَكَ ٢٨ : ١٦)

ما هي أوقات الإحساس بوجود الله ؟
متى تشعر النفس بأن الله موجود معها ؟
في الحقيقة ، من ضمن الأوقات الأساسية التي نحس فيها بوجود الله
معنا :

١ - أوقات الضيق والتعب :

وقت الضيق ، هو وقت الإحتياج إلى الله . وفيه تشعر بوجود الله ،
أكثر مما تشعر في وقت الراحة أو المتعة . تشعر في الضيقة بيد الله كيف
تدخل وتعمل وتنقذ ...

يعقوب أبا الآباء ، بدأت خبراته الروحية في وقت الضيقة .

م نسمع له عن خبرات روحية ولا مناظر ولا رؤى في بيت أبيه ، ولا
صراع مع الله ، ولا وعود إلهية ، ولا تغيير لإسمه ...

ولكن لما قال عيسو « أقوم وأقتل يعقوب أخى » (تك ٢٧ : ٤١)
وهرب يعقوب من وجه أخيه هنا بدأ يشعر بوجود الله في حياته ... وفي
هروبه وضيقه رأى السلم الواصلة بين السماء والأرض ، ورأى الملائكة
ساعدة ونازلة عليها ، وسمع صوت الله يقول له « ها أنا معك ، وأحفظك
حيثما تذهب ، وأردك إلى هذه الأرض » (تك ٢٨ : ١٠-١٥) . وبدأت
ليعقوب سلسلة من الخبرات الروحية في الحياة مع الله ...

ونفس الوضع بالنسبة إلى يوسف الصديق :

لم يدخل في العشرة الإلهية كما ينبغي ، وهو ابن مدلل في بيت أبيه ، له قيصر منون ، وأحلام جنية ، تثير حسد أخوته وغيرتهم ... ولكن لما ألقى في البئر ، ولما بيع كعبد ، بدأ يختبر يد الله معه ، كيف ينجح طريقه ، وكيف يعزّيه حتى وهو في السجن ، وكيف يمنحه موهبة تفسير الأحلام ، ويمنحه نعمة في عيني حافظ السجن والمسجونين ، بل يمنحه نعمة في عيني فرعون نفسه « والله أراد به خيراً » (تك ٥٠ : ٢٠) .

أفضل أيامه الروحية ، كانت وهو في الضيقة . أما لما صار وزيراً ، فلم نسمع عنه حينئذ رؤى أو أحلام . بل كان رجل إدارة وسطية . ولم تكن إرادة الرب مكشوفة له وقت مباركة إبنيه أفرام ومنسى ، كما كانت مكشوفة لأبيه يعقوب الذي عاش في الضيق (تث ٤٨ : ١٧-١٩) .

زيونان ، اني كانت أعمى روحياته وهو في بطن الحوت .

حينما كان طليقاً . كان معنداً للأمر الإلهي ، متمسكاً برأيه . أما حينئذ بسعة الحوت ، وبجوارب فوقه التي لم يفتح ، حينئذ صرخ من خوف هائله ، فسمع الرب صوته . « أُنعت فيه نفسه ، صلي يوحنا ، الرب وهو في جوف الحوت ، وقال « حين أُعيت في نفسي ، ذكّرني الرب ، فحانت إليّ صلاتي ... بعبادة الحمد أدبح لك ، وأدعي بها لذكرته » (يوحنا ١٠٢ : ١٠ ، ١١ ، ١٢) .

وأهثلة لأنبياء وأبرار كثيرين :

الثلاثة فتية تمتعوا بوجود الله معهم ، وهم في أتون النار . ودانيال
سعى شعربعمل الله لأجله وهو في جب الأسود .

وبطرس الرسول لمس يد الله معه وهو في السجن (أع ١٢ : ٦ ، ٧)
وكذلك القديس بولس أيضاً (أع ١٦ : ٢٥ ، ٢٦) . ويوحنا لم يبصر تلك
رؤيا العظيمة ، إلا وهو في الضيقة ، منفياً في جزيرة
مس (رؤ ١ : ٩ ، ١٠) .

وتلاميذ الرب أبصروا يده معهم ، لما اضطربت السفينة وهاجت
بح ، فأتاهم في الهزيع الأخير من الليل ، ونهر الريح .

حقاً ، حينئذ لا توجد حلول بشرية ، نبصريد الرب تعمل .

أحياناً ، لما يرتفع الإنسان في مركزه ، يختفى عمل الله من قاموسه .
الجائز أن تجد في هذا القاموس كلمات الشهرة والمال والعظمة
كز ، أما كلمة الله فتكون عزيزة .

ولكن حينئذ تحل الضيقة تتعلق عيناه بالرب إلهه .

وهكذا كان بنو إسرائيل في تاريخهم القديم .

في فترات المتعة ، كانوا ينسون الرب ، بل كثيراً ما عبدوا الأصنام .
كان الرب يدفعهم إلى أيدي أعدائهم ، فيذلونهم ، كانوا حينئذ

يصرخون إلى الرب ، فيرسل لهم من عنده من يخلصهم ، كما يشرح لنا سفر
القضاء . بل ما أعمق قول المرتل في هذه الخبرة « املأ وجوههم حرباً ،
فيطلبون وجهك يا رب » .

ربما في قوتنا ، نعتمد على قوتنا . وفي الشدة تختبر الرب .

يقول الرب « ادعني في وقت الضيق ، أنقذك فتمجديني » .
إن اختبار عبور البحر الأحمر ، كان في وقت الشدة .
كذلك ضرب الصخرة التي فجرت ماء ، وكذلك السحابة المظلمة .

إن أرملة صرفة صيدا ، لم تختبر الوجود مع الله وعشرته ، إلا في وقت
المجاعة ، وحينما مات ابنها . هنا ظهر الله في حياتها . وبالمثل المرأة الشونمية
لما مات ابنها أيضاً ...

إننا نتمتع بوجود الله في وقت الضيقة ... ونحس وجوده ، ونطلب
وجوده ونلمس جوده ... وكذلك نتمتع بوجوده الإلهي في أوقات الصلاة
والتأمل والعبادة .

٢ - أوقات الصلاة والتأمل ...

الأوقات الروحية مناسبة جداً للشعور بالوجود في حضرة الله . وهكذا ما كان يحسه آباؤنا القديسون في خلواتهم ووحدهم . لذلك كانوا يتركون ضجيج العالم إلى البرارى ، حيث ينفردون بالله . ويشعرون بأنهم وجدوه هناك ، وأحسوه في صلواتهم وتأملاتهم .

رؤيا يوحنا ورؤيا بولس :

في سفر الرؤيا ، القديس يوحنا الحبيب ، لم يمد الله في الضيقة فقط ، إنما يقول « كنت في الروح في يوم الرب » (رؤيا : ١٠ : ١٠) . كان في حالة روحية ، ملتصقاً بروح الله ، مرتفعاً بقلبه إليه ، في يوم مقدس . وفي هذا الجو الروحي ، رأى السماء مفتوحة ، وأبصر عرس الله ، والقوات السمائية تسبحه . القديس بولس الرسول أيضاً ، يعطينا نفس الصورة أيضاً في صعوده إلى السماء الثالثة . كان هو أيضاً في حالة روحية وصفها بقوله « أفي الجسد أم خارج الجسد ؟ لست أعلم ، الله يعلم » (٢ كور : ١٢ : ٢ ، ٣) .

إن الانسان يحس وجود الله في الأوساط الروحية ، عندما يلتصق قلبه بالله ، وتتلامس روحه مع الله .

القديس غريغوريوس أسقف نيصص ، كان أثناء خدمته للقداس الإلهي ، يبصر الروح القدس على هيئة حمامة . وأحياناً كان الرب يعلن له من هو مستحقاً للتناول ومن هو غير مستحق ...

وكثير من الآباء الكهنة ، أثناء القداسات ، يكونون في حالة روحية غير عادية ، يشعرون أثناءها بالوجود الفعلي مع الله .

هنا جو روحي خاص : من جهة الاستعداد لهذه الخدمة المقدسة ، والإستعداد للتناول ، وهيبة الهيكل والمذبح والذبيحة ، وجوالبخور والصلوات ، والقيام الفعلي أمام الله . كل ذلك يعطى شعوراً خاصاً يندر وجوده في أوقات أخرى ...

لذلك أنا أعجب من الذين يطلبون أن يسجل لهم أحد الآباء الكهنة قطعة من القداس في وقت يختارونه .

إنه حينئذ سيسجل لحناً ، ولا يقدم نفس الروح شتان بين تسجيله اللحن في أى وقت ، وتسجيله في وقت القداس الإلهي ، في جو روحي خاص ، وفي حالة روحية خاصة ! وفي شعور بالوجود أمام الله ، بتأثير الذبيحة المقدسة ...

بنفس المنطق أيضاً ، نقول إن هناك قرعاً جوهرياً بين أن تسمع القداس الإلهي ، وأنت في الكنيسة تعد نفسك للتناول ، وأن تسمعه في بيتك من الاذاعة أو من جهاز تسجيل ...

في وقت الصلاة والتأمل ، يشعر الإنسان بالله يملأ قلبه ، ويشعر بأن الله يحيط به . كما يشعر أنه واقف أمام الله يكلمه . أنظروا كيف أن المسيح يقول « حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمي ، فهناك أكون في

بسطهم». هذا الشعور بأن الله في وسطنا ، هو شعور بروحي يشعر به الإنسان في وقت الصلاة.

و يشعر أيضاً بأن الملائكة حوله ، وبأن أرواح لقسيسين أيضاً تحيط به ، بأن روحاً عميقاً في داخله يعطيه ما يقوله ...

لهذا كانت لاجتماعات الصلاة قوتها وتأثيرها ، ولهذا كانت للياس لصلاة وسهراتها فاعية عميقة داخل النفس وقوة غير عادية ...

نتذكر أن تلاميذ الرب فيما كانوا يخدمون الرب و يصلون ، كلمهم روح القدس ، وقال لهم : افرزوا لي برنابا وشاول (أع ١٣ : ٢) .

وفي إحدى المرات وهم يصلون ، تزعزع المكان من قوة الصلاة ، أو من لوجود الإلهي أثناء الصلاة ، وامتلاً المشتركون في الصلاة من الروح لقدس (أع ٤ : ٣١) .

الصلاة جعلت الرب يحل بمجده في المكان فشعر المصلون بوجود الله ، بأن السحابة قد استقرت على الخيمة .

هنا يشعر الإنسان بالعزاء ، وبالفرح والسلام ، ويشعر بلذة البقاء في صلاة ، وأنه يود لو كانت الصلاة لا تنتهى ...

وكما قال أحد الآباء عن الصلاة : ومن فرط حلاوة الكلمة في فواههم ، ما كانوا يريدون أن ينتقلوا منها إلى كلمة أخرى في صلواتهم .

الذى يشعر بلذة الصلاة ، وبوجود الله معه فى الصلاة ، لا يجب أن ينتقل من جو الصلاة إلى أى جو آخر بعيد عنها . ولو انتهت صلاته ، قد يظل واقفاً ، ولو صامتاً ، يعز عليه أن ينزع نفسه من هذا الجو الروحى ... ولو يقول عبارة واحدة : لا أريد يارب أن أتركك إلى عمل آخر . ولا أريد أن أختم الحديث معك ، لكى أتحدث مع أحد سواك ...

من هنا كانت الصلاة الدائمة . ليست كعمل تعصبى أو مجرد تدريب ، إنما رغبة فى البقاء مع الله أطول وقت ...

هناك أوقات كثيرة تشعر فيها بالوجود مع الله ، ولكن وقت الصلاة والتأمل هو أعمقها وأقواها ...

وماذا أيضاً يشعرك بالوجود فى حضرة الله .

٣ - الأماكن المقدسة ...

إن جو الكنيسة والأماكن المقدسة ، يشعرك بالوجود مع الله ، أكثر من شعورك فى أى مكان آخر ...

ولهذا نجد إنساناً روحياً مثل داود النبى ، يستطيع أن يكون روحياً فى أى مكان وبتتمتع بالله ... إلا أنه مع ذلك يقول « مس كنك محبوبة أيها الرب ، له القوات . تشتاقي وتذوب نفسى للدخول إلى ديار الرب . قلبى وجسمى قد ابتهجا بالإله الحى » . « مذابحك أيها الرب إله القوات ملكى وإلهى . طوبى لكل السكان فى بيتك ، يباركونك إلى الأبد » (مز ٨٣) .

و يقول « واحدة طلبت من الرب وإياها التمس ، أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي ، لكي أنظر إلى نعيم الرب وأتفرس في هيكله » (مز ٢٦) .

وهكذا يترغم المرتل بالجبل المقدس ، ومدينة الله ، و يقول « أساساته في الجبال المقدسة . أحب الرب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب » « أعمال مجيدة قد قيلت عنك يا مدينة الله » (مز ٨٦) « ههنا موضع راحتي إلى أبد الأبد . ههنا أسكن لأني اشتيت » (مز ١٣١) « ببيتك تليق القداسة يارب » (مز ٩٢) « رفعت عيني إلى الجبال ، من حيث يأتي عوني » (مز ١٢٠) .

إن زيارة لمكان مقدس ، لدبر ، لمغارة قدس ، لكنيسة قديمة ، قد تكون لها تأثيرات روحية عميقة داخل النفس .

تشعر الإنسان بوجود الله في هذا المكان ، كما قال أبور يعقوب عن بيت إيل « إن الله في هذا المكان » (تك ٢٨) .

وهذا يحذر أحبائنا كل أحسن الإنسان بحنجاه إلى دفعة روحية قوية ، يفهم بزيارة لمكان مقدس ، ترجع إليه الشعور بوجود الله معه ، أو سوجوده أمامه ، فينتهي قلبه ، مجرد نظر البناء ، أو مجرد نظر أيقونة معينة لها تأثير في النفس ، أو مجرد تذكر أن قديساً معيناً عاش مع الله في هذا مكان ...

أو قد يلجأ الإنسان إلى أية واسطة روحية تشعر محبة الله في قلبه ،
وتشعره بهذا الوجود الإلهي داخل القلب ...

وإن اجتمع تأثير المكان ، وتأثير العمل الروحي معاً ، فإن هذا يكون
أنفع جداً ... بل هناك أمكنة تدفع الإنسان دفعاً إلى الصلاة ، أو تعطية
عمقاً خاصاً في صلواته ، أو في تراتيله وألحانه ، أو في تأملاته وقراءاته ...

على أن الوجود في الحضرة الإلهية ، قد لا يأتي سببه منا ، وإنما من
زيارة النعمة لنا ، في وقت لا نعلمه ، أو لا نتوقعه ، أو لم نعد أنفسنا له ...

٤ - وقت لا نعلمه ...

حقاً ، كما قال الرب في الإنجيل المقدس « إن ملكوت الله لا يأتي
بمراقبة » (لوقا : ١٧ : ٢٠) .

الروح يهب حيث يشاء .

نحن لا نعلم متى يتحدث الله إلينا ، متى يعلن لنا ذاته ، متى تزورنا
نعمته ، متى نجد أنفسنا أمام الله ...

إنما في وقت لا نعلمه ، يعمل الله في قلوبنا من حيث لا ندري ،
ويشعرنا بوجوده . وهكذا فعل مع القديسين .

في وقت ما كان يتوقعه موسى النبي ، وبطريقة لم تخطر له على بال ،
كلمه الله من النار المشتعلة في العليقة ، وأعلن له ذاته ، وأرسله ليخلص
الشعب ... (خر ٣) .

وفي وقت ما ، كسم الله أبانا إبراهيم ، ودعاه للحياة معه (تك ١٢) .
وجد ابرام نفسه أمام الله ، دون أن يسعى إلى ذلك ، ودون أن يخطر له هذا
على بال . وتكرر الأمر في حياته مرات ... إن ملكوت الله لا يأتي بمراقبة .

كذلك صموئيل النبي وهو طفل ، ما كان ينتظر مطلقاً ، أن يكون له
حديث مع الله ، أو أن يختاره لرسالة معينة أو لنبوة ، ولكنه وجد نفسه أمام
الله في وقت لا يعلمه ولا يتوقعه ...

وبنفس الأسلوب ، شاول الطرسوسي في طريق دمشق ، وجد نفسه
أمام النور ، وأمام دعوة ، وأمام عتاب ، وأمام المسيح شخصياً . وصار
رسولاً من حيث لا يدرى ، بل وفي عكس الطريق الذي انتهجه لنفسه .

في وقت غير معروف ، تفتقد النعمة قلب إنسان ، فتشعبه . كما هو
مطلوب منه ، أن يتجاوب و يستغل الفرصة .

أنت لا تدري متى يطرق الله على بابك . كل ما تدريه أنك أن
سمعت صوته لا تقسى قلبك ، بل تفتح بابك مباشرة ، وتقول له في حب :
تعال أيها الرب يسوع .

مشككة عذراء السنشيد ، إنها لم تفتح للرب ، حينما أتاها طافراً على
الجبال وقافزاً على التلال ، ولا حينما مديده من الكوة ، فأنت عليه
أحشاؤها . لذلك قالت في ألم شديد : « حبيبي تحول وعبر . نفسي خرجت
حينما أدبر . طلسته فما وجدته . دعوته فما أجابني » (نش ٥ : ٢-٦) .

في فترات زيارة النعمة ، يشعر الإنسان بوجود الله معه . يشعر بحرارة غير عادية ، وإقتراب قلبه إلى إلهه ، ومحبة عجيب للرب وملكوته ، وبرغبة في الصلاة ، وعمق في التأمل ، كما يشعر بسيطرته على فكره وتوجيهه توجيهاً روحياً .

إن رأيت هذا في نفسك ، فتذكر قول الرسول « لا تطفثوا الروح » (افسس ٥ : ١٩) . وإن لم تكن في هذه الحالة الروحية ، فلا تحاول أن ترقبها متى تجيء . إنما يكفي أن تقرب في مزاميرك « مستعد قلبي يا الله ، مستعد قلبي » (مز ٥٦) .

وباستمرار كلما وجدت في داخلك إشتياقاً روحياً ، حاول أن تلهبه بالأكثر . إن وجدت في داخلك رغبة في التوبة أو في الاعتراف ، فلا تتوان ولا تؤجل . وإن وجدت رغبة ملحة أن تصلي ، فلا تتكاسل . وإن وجدت نفسك قد تأثرت بعظة أو صلاة أو لحن أو ترتيلة ، فلا تجعل هذا التأثير يضع بلا ثمر . إستفد من وجود الله معك ، لنموك الروحي .

واحترس من أن يكبر قلبك خلال زيارات النعمة .

وجودك في حضرة الله ، يناسبه التواضع بالأكثر ، وانسحاق القلب ، والشعور بعدم الإستحقاق ، فهذا يمكن أن يعطيك الرب أكثر فأكثر ، لأنه يعطي المتواضعين نعمة (يع ٤ : ٦) .

وكما تجدد نفسك مع الله ، قل : إنه من أجل إحتياجي سمح الرب أن يفتقدني بنعمته ، وليس ذلك بسبب إستحقاقي .

إنه ليس بجهدنا نكون مع الرب ، إنما بحنانه وجوده .

من أجل محبته لى ابشر ، من أجل عدم مشيئته أن يموت الخاطيء .
من أجل رعايته وعنايته وأبوته ، يفتقدنا بوجوده معنا ، حتى دون صب
، كما فعل مع تلميذى عمواس ومع شاول الطرسوسى .

تبارك الرب فى عظمه محبته . هـ مجد من الآن وإلى الأبد آمين .



ت هذه المحاضرة فى الكاتدرائية الكبرى ، مساء يوم الجمعة ١٥ / ٥ / ١٩٧٠ م .

[٣]

شهوة الوجود مع الله

الوجود مع الله : شهوة

دعوة الآخرين

فرح بالأندية

شهوة الوجود مع الله ...

لوجود مع الله شهوة في القلب النقي .

الإنسان الروحي يشواق أن يوجد باستمرار مع الله لذلك نجد داود يقول « كما يشواق الأيل إلى جداول المياه ، كذلك إشتاقت نفسي يا الله ، عطشت نفسي إلى الله ، إلى الإله الحي . متى أجيء وأترأى الله » (مز ٤٢ : ١ ، ٢) « يا الله ، أنت إلهي ، إليك أبكر . عطشت إليك ... باسمك أرفع يدي ، فتشبع نفسي كأنها من شحم ود (مز ٦٢) « إليك يارب رفعت نفسي ... إياك انتظرت النهار (مز ٢٤) « طلبت وجهك ، ولوجهك يارب التمس . لا تحجب و عني » (مز ٢٦) « التحقت نفسي وراءك » (مز ٦٢) أي جرت ور وكما يشواق المرتل إلى الله ، يشواق إلى كل ما يتعلق به ، إلهه . وصاياه ...

يقول « محبوب هو اسمك يارب ، فهو طول النهار تلاقيني » (١١٨) ونقول في الابصلمودية « اسمك حلو ومبارك ، في قدسيك » .

وعن كلام الرب يقول « وجدت كلامك كالشهد فأحلى كلماتك حلوة في حلقى . أحلى من العسل والشهد في فمي » (مز ١٨)

وعن بيت الرب يقول « فرحت بالقائدين لى إى بيت الرب نذه
(مز ١٢١: ١) « تشتاق وتذوب نفسى بدخول إلى ديار الرب
(مز ٨٣: ٢) « واحدة طربت من الرب وإيها التمس ، أن أسكن فى
الرب كل أيام حياتى ، لكى أنظر إلى نعيم الرب ، وأتفره
هيكله » (مز ٢٦) .

الإنسان الذى يحب الله ، يشتاق أن يكون معه فى كل حين ، نا
هو درسه ، وصاياه هى تلاوته ، محبته هى الغذاء التى تتغذى به الرب
ويتغذى به الفكر...

أما الذى يضجر بسرعة ، إن جس مع الله ، و يدركه السأم والمه
طال به الوقت فى الصلاة ، أوفى الكنيسة ، أوفى قراءة الكتاب أو
الروحى ، فهذا إنسان جاف فى قلبه ، بعيد عن حياة الروح ...

بمعكس هذا ، الإنسان الروحى ، لذى يمتنىء قلبه بمحبة لله
ليس فقط يشتاق إلى الله ، وإنما يدعو الآخرين أيضاً ...

دعوة الآخرين ...

إنه يدعو الكل إلى عشرة الله ، و يقول لهم ما قاله المرتل فى
« ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب » (مز ٣٣) .

المرأة السامرية ، لما تمتعت قليلاً بالوجود مع المسيح ، ذهبت تب
فى كل المدينة ، وتدعو الناس قائلة « تعالوا وانظروا إنساناً قال لى كـ

فعلت » (يوحنا : ٢٩) ... لقد ارادت لهم أن يذوقوا ما قد ذاقته من حلاوة الوجود معه ، ولذة الحديث معه ، وجمال عشرته ، وحنو حديثه .

وهنا الفرق بين المحبة الروحية ، والمحبة الدنيوية ... محبة العالم ، هي محبة أنانية ، تريد أن يكون ما تحبه لها وحدها . أما المحبة الروحية ، محبة الله وعشرته ، فإنها تشرق على الجالسين في الظلمة ، وتريد أن يشاركها الكل في حبها . وفي الله الذي تتمتع به . لا تريده لها وحدها ، إنما للكل ...

لما فيلبس تعرف على المسيح ، قال لنثنائيل « وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس ، والذي كتب عنه الأنبياء » (يوحنا : ٤٥) . ولما ذاق يوحنا الرسول حلاوة العشرة مع المسيح ، كتب في رسالته الأولى « إن الحياة أظهرت ، ونشهد ونخبركم ... الذي رأيناه وسمعنا نخبركم به ، لكي تكون لكم أيضاً شركة معنا ... لكي يكون فرحكم كاملاً » (يوحنا : ١-٢-٤) .

كل من يمتدح بمحبة الله ، تراه يفيض من هذا الحب على الآخرين ويدعوهم لمشاركته ... وماذا أيضاً ؟

الذي يحب الله ، يحب الأبدية . وليس فقط يحب الله على الأرض ، إنما يحبه أيضاً هناك في العالم الآخر .

وإذا بمحبة الوجود مع الله ، تتحول إلى فرح بالأبدية .

فرح بالأبدية ...

إن سمعان الشيخ ، لما حمل المسيح على يده ، وفرح بهذا الخلاص ، صرخ من عمق قلبه قائلاً « الآن بارب تطلق عبدك بسلام ، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك ... » (لو ٢: ٢٨-٣٠) .

الذين يحبون عشرة الرب حقاً ، ويرون ما في لعالم من عوئق المادة والجسد ، يشتاقون أن ينطلقوا من هذا الجسد ، لكي تكون لهم فرصة أوسع في عشرة الله ، ولكي يكونوا في كل حين مع الرب (١ تس ٤ : ١٧) . وهكذا نرى القديس بولس الرسول يقول « لي اشتاء أن أنطلق ، وأكون مع المسيح ، فذاك أفضل جداً » (في ١ : ٢٣) . إذن شهوة الإنطلاق هنا ، هدفها هو الوجود مع الله ، فذاك أفضل جداً ...

إن الذي يشعر ببذة الوجود مع الله ، لا يهمه الموت ، بل على العكس يرى أن الموت هو جسر ذهبي جميل ، يوصل إلى حياة أفضل ، إلى الفردوس ، إلى النعيم ، إلى الوجود مع الأب كحِينَ ، إلى التخلص من الحياة في المادة وما تسببه من معوقات . لذلك يكون تفكيره في اورشليم السماوية ، مسكن لله مع الناس ، تفكيراً له أعماقه العاطفية في القلب ...

إن سطفانوس أول الشمامسة ، لما اقترب من الموت ، اعنى لما اقترب من الإنتقال إلى عشرة الله الدائمة ، كان فرحاً ومتهللاً . ويقول عنه الكتاب في تلك اللحظات إنهم شخصوا إليه « ورأوا وجهه كوجه ملاك »

(أع ٦: ١٠) . أما هو فشحخص إلى السماء ، وهو ممتلىء من لروح القدس ، فرأى مجد الله ... وقال « ها أنا أنظر السموات مفتوحة ، وابن الإنسان قائماً عن يمين الله » (أع ٧: ٥٥ ، ٥٦) ... وهذا الفرح انتقل إلى الوجود الدائم مع الله ، حيث لا مؤامرات ، ولا حنق أعداء ، ولا رجم ...

لا شك أن الذين يحزنهم الموت والانتقال إلى الرب ، لم يتيقنوا من لذة الحياة مع الله ، والوجود في عشرته المحبة إلى النفس . أو أن البعض يخافون الموت ، لأنه يحرمهم من الحياة في الجسد وفي المادة ومع الناس ...

في القرنين الثاني والثالث للميلاد ، حيث كانت أشواق المؤمنين متعلقة في عمق بالملكوت ، كانوا يسعون إلى الموت سعياً من أجل الله ، وكانوا يحبون الإستشهاد . بل أن العلامة أوريجانوس والعلامة ترتليانوس ، وضع كل منها كتاباً عنوانه « حث على الاستشهاد » . فهذا الاستشهاد سيوصلهم إلى الوجود الدائم مع الله ...

تحول الإستشهاد في تلك العصور إلى شهوة ، لأنه يحمل في طياته شهوة أعمق ، هي الوجود الدائم مع الله ، حيث يتغنون مع القديس بولس قائلين « ونكون كل حين مع الرب » .

هذه الشهوة المقدسة ، تزعج من قلوبهم الخوف من الموت . فكانوا يشدون تلك الانشودة الجميلة : « إن عشنا ، فلرب نعيش . وإن متنا ، فلرب نموت . إن عشنا أو متنا ، فلرب نحن » (رو ٨: ١٤) .

دُزلاء لا تهمهم سوى عشرة الله ، سواء هنا أو هناك .

في السماء ، يكونون كل حين مع الرب . وعلى الأرض أيضاً يشعرون أنهم مع الله في كل مكان . كيانهم كله معه ..

هوذا داود النبي يقول « تأملت فرأيت الرب أمامي في كل حين ، لأنه عن يميني فلا اتزعزع » (مز ١٦: ٨) . الرب أمامه ، والرب عن يمينه ، يحيط به من كل ناحية . فما تأثير هذه عليه إذن . يقول بعد ذلك مباشرة « من أجل هذا فرح قلبي وتهلل لساني . وأيضاً جسدي يسكن على الرجاء » « عرفتني سبل الحياة . تملأني فرحاً مع وجهك » ...

إنه يشعر بوجود الله معه ، هنا وفي الأبدية ، لذلك يقول أيضاً « إن سرت في وادي ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معي » (مز ٢٢) . ما أجل شعور المؤمن بأن الله معه ، حتى في وادي ظل الموت ...

لذلك يرتل هؤلاء المؤمنون ترثيلة « حيث قادني أسير » . لا يهم أن يقود الله النفس ، لكن المهم أن تكون معه حيثما قادها . ومادامت معه ، تشعر بالسعادة والثقة والإطمئنان .



[٤]

طبيعة العلاقة مع الله

لكي نفهم لوجود مع الله ، ينبغي أن نفهم أولاً ما هو الله نفسه
لينا ؟ ... وبالتالي ما هي طبيعة العلاقة معه ؟ ... وهنا نفهم حالة الوجود
مع الله ...

إن الله لا يساء أن يكون مجرد سيد يحكم عبداً ، ولا يتشاء أن يكون
خوف العبد وطاعتهم هو أسس العلاقة التي تربط البشرية به . لذلك
قال في وضوح :

« لا أعود أسمىكم عبداً ... بل أحباء » (يوحنا ١٥ : ١٥) .

وفي هذا الحب ، ودرجته وعمقه ، قبل عنه به « أحب خاصته الذين
في العالم ، أحبهم حتى المنهى » (يوحنا ١٣ : ١) . بل إن هذا الحب كان هو
السبب المباشر للتجسد والفداء ، لأنه « هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل
بنه الوحيد ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية »
(يوحنا ٣ : ١٦) .

وفي محبة الله لنا ، دعانا أبناء له ...

ويتغنّى القديس بوحنا الرسول بهذه الحقيقة فيقول « أنظروا أية محبة
عطانا الآب ، حتى ندعى أولاد الله » (١ يوحنا ٣ : ١) . وأصبحنا حينما
صلّى ، نوجه صواتنا إلى هذا الآب السماوى ، ونقول له « يا أبانا الذى
فى السموات » .

حتى جاء السيد المسيح ، فأظهره بجلاء ووضوح . أنظرو كيف أن
له يعاتب الشرف في العهد القديم فيقول « ربيت بنين ونشأنهم ، أما هم
فعضوا على » (أش ١ : ٢) . وكأب في العهد القديم ، يخاطب الإنسان
بعبارة « يا ابني أعطني قلبك » (أم ٢٣ : ٢٦) . وقد أدرك أشعياء النبي
أبوة الله ، فقال له « تطلع من السماء ، وانظر من مسكن قدسك ، فإنك
أنت أبونا ... أنت يارب أبونا ، ولينا منذ الأبد إسمك » (أش ٦٣ : ١٦) .
وقال أيضاً « والآن يارب أنت أبونا ... وكلنا عمل يديك »
(أش ٦٤ : ٨) ... والأمثلة كثيرة ...

إذن فنحن حينما نتواجد مع الله ، نتواجد مع أب يحبنا ...
ونقضى الوقت معه ، كما يسك الأبناء مع أبيهم لمحب لهم ، بنفس
الدالة التي للأبناء . ومن الناحية الأخرى ، حينما نخطيء ، نشعر ليس مجرد
شعور العبيد الذين يخافون لعصوبة ، بل بالأكثر شعور لأبناء الذين يؤلمهم
ويحزنهم أنهم جرحوا قلب أبيهم لمحب ، وتباعدا عنه بالمعصية ، فيسرعون
لمصالحته ، ليوجدوا في كل حين معه ...

وماداً أيضاً ؟ هل نحن مجرد أبناء وأحباء ؟ كلا ، بل هناك ما هو
أكثر :

من محبة الله ، دعا النفس التي تحبه عروساً له ...
هذا واضح تماماً في العهد القديم ، في سفر نشيد الأناشيد ... وفي

• عهد خذيد تتكلم يوحنا المعمدان عن الكنيسة كلها كعروس للمسيح ،
 و يقول عنه وعنها « من له العروس فهو العريس » (يوحنا ٣ : ٢٦) . وفي
 انجيل متى ، سمع الرب كل النفوس التي تحبه بحموس عذارى
 حكيمة ، أحد مصابيحهن وخرجن لاستقبال العريس (مت ٢٥) .
 ويقول بولس الرسول عن كرزته « خطبتكم لأقدم عذراء عفيفة
 للمسيح » (٢ كو ١١ : ٢) . وسرح في الرسالة إلى أفسس ، كيف أحب
 المسيح الكنيسة كعروس له ، وكيف قدسها وطهرها وأسمه نفسه
 لأجلها ، وقال : « وحدة المسيح بالكنيسة » (هذا السر عظيم) (أف ٥ :
 ٢٢ - ٣٢) .

إذن نحن أبناء وأحباء ، وعروس للرب ، وماذا أيضاً ؟

أقول بالأكثر : إنه ونحن كيان واحد ، كالرأس والجسد ...

حقاً ، هذا السر عظيم ! إن الرب لم يفصلنا عنه . فنحن جسده وهو
 رأسنا . المسيح هو رأس الكنيسة (أف ٥ : ٢٣) ، ورأس كل رجل هو
 لمسيح (١ كو ١١ : ٣) وأجسادنا هي أعضاء المسيح (١ كو ٦ : ١٥) .
 نحن « أعضاء جسمه ، من لحمه ومن عظامه » (أف ٥ : ٣٠) . إنني
 نف هنا مذهولاً أمام هذه العبارات العجيبة ، التي أراد بها الوحي الإلهي
 توضيح علاقتنا بالمسيح ووجدتنا معه ...

وقد وضح الرب هذه الوحدة ، بعلاقة أخرى غير الرأس والجسد ،

قال :

« إثبتوا فتي ، وأنا فيكم ... أنا الكرمة ، وأنتم الأغصان »
(يوحنا ١٥) .

الكرمة والأغصان ، كيان واحد ... كالرأس والجسد ...
والغصن لا حياة له ، إلا بالثبات في الكرمة . وهكذا قال الرب
« كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بشمر من ذاته ، إن لم يثبت في الكرمة ،
كذلك أنتم إن لم تثبتوا فتي ... الذي يثبت فتي وأنا فيه ، هذا يأتي شمر
كثير » (يوحنا ١٥ : ٤ ، ٥) .

إذن أكثر من الوجود في الله ، الثبات في الله ...
نثبت في الله ، كما يثبت الغصن في الكرمة ، تسرى فيه عصارة
الكرمة ، وتعطيه حياة ... وإن لم تسر فيه عصارة الكرمة ، يجف ويموت ..
« لكن كيف نحصل على هذا الثبات في الله ؟ »

نقد قدم لنا الرب أربع وسائل للثبات فيه :
« فقال (من يأكل جسدي و يشرب دمي ، يثبت فتي وأنا فيه »
(يوحنا ٦ : ٥٦) .

« قال نقديس يوحنا الرسول في رسالته لأولي » (من اعترف أن
يسوع هو ابن الله ، فانه يثبت فيه ، وهو في الله » (١ يوحنا ٤ : ١٥) . وهنا
قدم الإيماء كواسطة لثبوت في الله .
« وقال أيضاً » (الله محبة . ومن يثبت في المحبة ، يثبت في الله ، والله
فيه » (١ يوحنا ٤ : ١٦)

١٠ « وأيضاً » من يحفظ وصاياه ، ينبت فيه . وهو فيه «
(١ يوحنا : ٢٤)

إذن هناك وسائط للنسب في الله . هي : الإيمان ، والمحبة ،
والشاول من جسده ودمه ، وحفظ وصاياه .

فهل حرصت على هذه الوسائط الأربع ؟ وهل شعرت فيها بالثبوت
في الله ؟ هل شعرت فيه بوجود الله فيه ؟ هذا إن كنت قد مارسها كم
ينبغي ...

هل رأيتم علاقة في قوة هذا الثبوت المتبادل ؟

ثبوت كاجسد في الرأس ، وكالعصن في الكرمة ... فيه الحياة ، ولا
حياة بدونه ... ومادا أيضاً ؟ لعلني تخبر وأقرب ، في ختية وانضاع فب :

الوحد مع الله ، هو الوجود في الله ...
أو هو وجود الله فينا ...

وحد مع فينا ، كمول السيد الرب للآب « أنا فيهم ، وأنت في ،
يكونوا في مكمن في واحد » (يوحنا : ١٦ : ٢٣) وقوله أيضاً « وعرفتهم باسمك
سأعرفهم ، سيكون فيهم ، حب الذي أحببتني به ، وأكون أنا فيهم »
(يوحنا : ١٧ : ٢٦) . وفور بولس الرسول « لكى 'حيا لا أن ، بل المسيح يحيا
في » (عل ٢ : ٢٠) .

هل يوحد محمد أكثر من هذا ؟! أو هل توحد متعة روحية أعمق من

هذه؟! أن يؤدِّ وجودك مع الله في وجوده هو فيك... على أنه يلاحظ هذا
أن الأمر لا يمتدُّ على سيد المسيح فقط، وإنما...

كما يكون المسيح فيك، يكون أيضاً الآب والروح القدس :

أم عن روح الله فيك، فيقول الرسول « أما تعلمون أنكم هيكل
لله، وروح الله ساكن فيكم » (١ كو ٣ : ١٦)، « أم لستم تعلمون أن
جسدكم هو هيكل للروح لقدس الذي فيكم » (١ كو ٦ : ١٩)... حصاً
إن هذا السر عظيم .

أما عن الآب فيقول السيد المسيح « إن أحببني أحد يحفظ كلامي،
ويحبه أبي، وإليه سأتي، ومعه نضع منزلاً » أي الآب والإبن معاً
(يوحنا : ١٤ : ٢٣) .

هذا عن وجود الله فيك . فماذا عن وجودك فيه ؟ ...

يقول بولس الرسول « ... لكي أربح المسيح، وأوجد فيه » (١
كور : ٩، ٨) . و يوحنا الرسول يقول « هذا نعرف أننا فيه » (١ يوحنا : ٥ : ٢) .

والسيد المسيح يجمع هذا الوجود المتبادل في قوله « في ذلك اليوم
تعلمون أنني أنا في أبي، وأنتم فتى، وأنا فيكم » (يوحنا : ١٤ : ٢٠) . ويؤكد
هذا المعنى أيضاً قوله « إثبتوا فتى، وأنا فيكم » (يوحنا : ١٥ : ٤) .

ولكني لا أزل حائراً أمام عبارة « إثبتوا فتى، وأنا فيكم » . ما
معناها؟ ما كنه هذا الثبوت؟ قطعاً لا يمكن أن نثبت في حوهره، والا

يا آلهة ... ! وما نحن سوى تراب ورماد ... على أن الرب يحب في نفس
محاح فيهمون :

نعم ، بالحب نثبت فيه ، وبالحب يثبت هو في قلوبنا ... ألم يصل
ول « الله محبة . من يثبت في المحبة ، يثبت في الله ، والله فيه » ...

به الحب المبني على الإيمان ، كما قال القديس بولس « ليحل المسيح
يمان في قلوبكم . وأنتم متأصّدون ومتأسسون في المحبة » (أف ٣ :
١٨) .

إذن نحن بالحب ، وفي الحب ، نشعر بالوجود في الله ...
لا نشعر فقط بوجود الله معنا ، أو وجودنا معه ، وإنما نشعر أيضاً - في
ننا له - بوجوده فينا ، ووجودنا نحن فيه . نشعر أننا أعضاء في جسده ،
ثابتون فيه كشوت الغصن في الكرمة ، ثوباً نأخذ به حياة ، ونضارة ،
مع به ثمرأ ...

هل أنت كذلك ، تشعر أن حب الله يسرى فيك ، و يعطيك حياة ،
سعة روحية خاصة ، غير الحياة التي لهذا العالم ؟ وهل تشعر أن هذا
الإلهي يغذيك و يقويك ، و يشبك فيك ، و يشبع نفسك تماماً ... ؟

الحب ، نشعر بالوجود مع الله ...
في الوجود مع الله نشعر بالحب . وماذا أيضاً ؟

منه من المناسب ، أن تكون لهذا الموضوع محاضرة خاصة .

[٥]

مشاعر الوجود مع الله

مشاعر الحب

مشاعر الفرح

مشاعر السلام

مشاعر كثيرة

ما أعمق المشاعر التي تنبع من الوجود مع الله ... وما أكثرها . مجرد حساس بالوجود مع الله ، يجعل النفس ترتفع إلى فوق ، في مستوى أعلى . هذا العالم ، وأسمى من الماديات .

وتصبح كل مشاعرها روحية ... في عمق ...

ينجذب القلب إلى الله ، ويلتصق به في حب ، و يرى أن سعادته بها في البقاء هكذا . ويغنى مع داود « أما أنا فخير لي الإلتصاق رب » (مز ٧٣ : ٢٨) .

ويود أن يبقى هكذا ، لا يفارقه ، ولا يفصل عنه ...

يفرح أنه وجد الله ، فتعلق به نفسه ، ويقول مع عذراء النشيد مسكته ولم أره « (نش ٣ : ٤) . ويود أن تدوم حياته في هذا اللقاء ، الله والإحساس بوجوده . وتصبح كل الرغبات الأخرى تافهة في عينه ، لا تستطيع أن تفصله عن هذه المتعة الروحية التي يجدها مع ب ، فيصبح من أعماقه ، مع بولس الرسول :

من سيفصلنا عن محبة المسيح ... ؟! (رو ٨ : ٣٥ - ٣٩)

« ... لا موت ولا حياة ، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ، ولا أمور اضرّة ولا مستقبلّة ، ولا علو ولا عمق ، ولا خليقة أخرى ، تقدر أن

تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع » ... أتستطيع أن تدور هكذا ،
ولا تسمع لشيء أن يفصلك عن الوجود مع الله ؟

بروي في قصص القديسين عن أحد الآباء الرهبان ، أنه كان سائراً
في البرية ، مستغرقاً في صلاته بكل قلبه وعواطفه ، فأتى ملاكان وأحاطا
به من هنا وهناك . ولكنه لم يسمح لنفسه بأن يترك صلاته و ينظر إلى أي
منهما ، بل استمر في صلواته وتأملاته وهو يقول « من يفصلني عن محبة
المسيح ؟ لا ملائكة ولا رؤساء ملائكة » ...

إن مشاعر الوجود مع الله ، مشاعر لا ينطق بها ...
تحسها ، وإن أردت أن تصفها ، لا تستطيع ... تصل أحياناً إلى مرحلة
يهر فيها الإنسان و يذهل ... فإن استيقظ يشعر بفرح يغمره ، و يشعر بميل
إلى الصمت ، لا يريد أن يخرج من إحساساته الداخلية إلى مستوى
الحديث مع الناس ...

وكعينة من هذه المشاعر ، سنتكلم عن ثلاثة منها :
هي مشاعر الحب ، والفرح ، والسلام . وكلها من ثمار الروح
القدس ، الذي يسكن قلب الإنسان ، و يشعر الإنسان سكناه وثماره في
أوقات الوجود مع الله ...



مشاعر الحب ...

في حضرة الله

مشاعر الحب

في حضرة الله

يكفيك أيها الأخ المبارك أن تتقابل مع المسيح ، تتحدث إليه ، تستمع به ، تكون علاقة معه وتجذ فيه كل كفايتك ولا يعوزك معه شيء ... طيه قلبك ، وحينئذ تشعر بتفاهة العالم كله ، وتسعد بمحبة الله .

هذا هو الوجود مع الله ، حب في حب ، قلب بشري يتلامس مع ...

قلب محدود ، يتلامس مع القلب غير المحدود . وحب بسيط ، يتقابل حب لا نهائي . نحن في حياتنا مع الله ، مثل الجدول البسيط الذي يسير ، يلتقي بالبحر ، ويصب فيه ، ويختلط بمياهه التي لا تنتهي . نحن قطرة ، تسخن بحرارة الحب ، وتبخر فترتفع ، لكي تنزل إلى أعماق النهر بير ... حياتنا مع الله حياة حب .

العشرة مع الله ، هي عشرة الحب ...

إنها ليست مجرد نظام روحي ، أو جدول روحي تضعه لنفسك في صلاة والقراءة والتأمل والاجتماعات والمطانيات ... كل هذا حسن يل . ولكن هل هو نابع عن حب ؟ هل فيه اشتياق إلى الله ، وعشرة

مع من؟ هل علاقتك بالله هي علاقه حب؟ هل شذاق إليه كما يشواق
الغصن إلى عصير الكرمه يسرى في خلاياه؟ أم كل جداولك الروحية
رسميات بلا عاطفة؟!

هل أنت تشعر بوجود الله في حياتك . وجوداً يلهب قلبك
بالحب ، فتتقد عاطفتك نحو الله باستمرار...؟

هل في وجودك مع الله ، وقت صلاتك ، وقت تأملاتك ، وقت
إحساسك بسده تمسكك وتوجهك ، أو وقت إحساسك بيده تربت على
كتفك في حسو. هل في هذه الأوقات تشعر بمحبة إلهية تملأ قلبك ،
تتسعت ، وتلهف عوطفك لروحية ، فلا تعد محتاجاً إلى أية محبة أخرى
من جوهرها ؟

هل في صمواتك هجة الحب ، وأسوب احب؟ وهل إذا صليت لا
يريد أن تنتهي من الصلاة ، لأن المحبة تجذبك إلى البقاء في حضرة الله ؟
هل قببك المحب للمسيح ، مملوء بالفرح لألك قد وجدته ؟
هل وجودك مع الله ، أصبح حياة ، وليس فترات ؟

أى أنه من شدة محبتك لله ، ورغبتك في أن توجد معه باستمرار ،
يزدادت فترات وجودك معه ، وظلت تنمو ، حتى أصبحت تحس بوجودك
في حضرة الله كل حين ، وليس لفترات محدودة تأتي وتنتهى ... وهكذا
نقول مع معلمنا داود « تأملت فرأيت الرب أمامي في كل حين ... » .

إن الذى يحب الله ، ويجب أن يوجد دوماً معه ، لا يكون الله
بالنسبة إليه هو إله مناسبات ... !

الله . ليس هو الإله الذى يجده الإنسان فى الكنيسة فقط ، فإن فارقها
فارقه ! وليس هو الإله الذى يجده فى الكتاب المقدس ، فإن أغلق هذا
الكتاب إنتهت علاقته به ! وليس هو فقط الإله الذى لا يجده إلا فى
الصلاة والتأمل والتراثيل ، وبعدها لا يحس بوجوده ... !

إنما هو الإله الذى يحس وجوده معه فى كل مكان ، وفى كل وقت ،
وفى كل عمل ... هو فى حياته على الدوام . وهنا نسأل : من يكون المسيح
بالنسبة إلى حياتنا ؟

إن المسيح ليس غريباً عنا ... إنه فينا :

ليس هو مجرد شخصية تاريخية ، قرأنا عنها فى الإنجيل ، فعرفنا قصة
تجسده وصلبه وقيامته وصعوده إلى السموات ... بل المسيح حى بيننا ، معنا
كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر ، حسب وعده الصادق (مت ٢٨ : ٢٠) .
إنه الممسك السبعة الكواكب فى يمينه (أى جميع الرعاة) ، الماشى فى وسط
السبع المناير الذهبية (رؤ ١ : ٢) أى الموجود فى وسط الكنائس كلها ...

حقاً إننا نشعر بوجوده معنا فى صلواتنا ، حسبما قال « حيثما إجتمع
إثنان أو ثلاثة بإسمى فهناك أكون فى وسطهم » (مت ١٨ : ٢٠) . ولكن
وجوده معنا لا يقتصر على أوقات الصلاة فقط ...

وجوده في حياتنا ، أعمق من هذا وأشمل ...

ما أروع تلك العبارة التي قيلت عن معموديتنا ، التي فيها متنا مع المسيح ، وقفنا مع المسيح ... وليس هذا فقط ، بل بقول القديس بولس الرسول « لأن جميعكم الذين اعتمدتم بالمسيح ، قد لبستم المسيح » (غل ٣: ٢٧) ... وأمام عبارة « لبستم المسيح » اقف مهوراً ، أحاول أن اتسرب لمعنى على مهر ، بالروح لا بالعقل ...

وفي حياتنا الروحية ، إن كنا قد صولحنا مع الله بموته عنا ، فإننا ونحن الآن مصالحون « نخلص بحياته » (رو ٥: ١٠) أي بحياته فينا ، حيث كن حين « يقودنا في موكب نصرته » (٢ كو ٢: ١٤) . فنحن لا نعمل شيئاً من ذواتنا ، بل هو العامل فينا . أليس هو القائل « لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » (يو ١٥: ٥) .

إذن نحن لا نستطيع أن نفصل حياتنا عن المسيح .

حياتنا الروحية ما هي إلا « رائحة المسيح الذكية » (٢ كو ٢: ١٥)

ونحن في حياة الحب معه ، وحياة الوجود معه . نحاول أن نكون لنا معه وحدة في الفكر ، وفي المشيئة ، وفي العمل ... وهذا ندخل في حياة شركة معه .

فالوجود مع الله ، يعني أيضاً الشركة معه .

هذه الشركة التي قال عنها معلم بوحنا الرسول « وأما سـ كننا نحن ،

مع الآب ومع إبنه يسوع المسيح» (١ يوا : ٣) . ومعهمنا بولس
ل يذكر أيضاً « شركة الروح القدس » (٢ كو ١٣ : ١٤) . أما
بطرس الرسول ، فيدمج كل هذا معاً في عبارة واحدة هي « شركاء
الإلهية » (٢ بط ١ : ٤) ...

قأ ما أعجب الوجود مع الله ، وما أعجب مواهبه ! ونحن طبعاً لا
لك مع لطبيعة الإلهية في الجوهر ، أى في الألوهية ، ولا صرباً إلهة ؟
ن ؟

١ شركة مع الطبيعة الإلهية ، في الفكر والعمل .

ن جهة فكر ، يعبر بولس الرسول في عمق وإيجاز فصول « أما نحن
والمسيح » (١ كو ٢ : ١٦) . أما عن عمل ، فيقول عن نفسه وعن
ولس « نحن عاملاً مع الله » (١ كو ٣ : ٩) . ونحن نصلي في أوشية
رين فنقول نرب « اشتترك في العمل مع عبيدك ، في كل عمل
» .

شركة في العمل ، تحتاج أيضاً إلى شركة في المشيئة ، حيث نقول
ن كل صلاة « لتكن مشيئتك » . وتشمل من معناها « لتكن
، هي مشيئتنا . ولتكن مشيئتنا هي مشيئتك » .

٢ الوجود مع الله ، تتحد مشيئة الله والإنسان .

قبل الإنسان مشيئة الله في حب ، وفي رضى ، وفي فرح . وفي

شركة هذه المشيئة ، وفي شركة العمل والفكر ، يحيا في بردائهم . لأن الله هو النور الحقيقي « ولا شركة للنور مع الظلمة » (٢ كور ٦ : ١٤) . وهكذا كل من يتمتع بالوجود مع الله ، يحيا في النور ، و يصير من أبناء النور ، لأنه « إن قلنا أن لنا شركة معه ، وسكن في الظلمة ، نكذب ولسنا نعمل الحق » (١ يوا ١ : ٦) .

إذن الوجود مع الله ، هو الوجود في البر .

وجود مع الله ، يطهر من كل خطية ، ويثبتك في الحق ، ولحق يحرك . وتشعر وأنت موجود مع الله بمحبة كاملة لكل ما هو طاهر ومقدس .

لذلك فأنت تحب الرب لأجل أنه منحك هذا الإنعتاق من أسر الخطية ، وجعل الحياة الروحية سهلة عليك ، كما تحبه من أجل أنه الخلاص العظيم الذي قدمه لك وللعالم كله .

تحبه لأنك وجدته ، ولأنه تنازل ليكون معك .

ومع أنه مرفوع عن السموات ، فإنه يجد لذته في بني البشر ، ويجب أن يكون معنا ، ويعمل فينا وبنا . يكلمنا ونكلمه ، يحوطنا بعمل رعبته في حب وإشفاق ...

نحبه ، لأنه هو الذي يبحث عنا ، حتى إن ضللنا عنه ، يأتي بنا إليه ، ولا إيانا على منكبيه فرح . هذا الذي أحسننا قليلاً ، واشفق علينا حتى

ونحن في عمق خطايانا .

نحب هذا القدوس ، الذي منح نعمة الوجود معه حتى للخطاة
والعشارين ، وحضر ولائهم . وتعشى في بيت زكا ، وسمع للمرأة
الخاطئة أن تدمر قدميه وتقبلهما ، تلك التي إشمئز من وجودها
الفريسى ...

نحب هذا الكامل ، الذي سمح بالوجود معه للمجدلية التي كان عليها
سبع شياطين . فخلصها منهم ، وجعلها من خاصته ، ونعمت بالوجود معه
حتى وهو على الصليب .

إن أسعد أوقاتنا في الحياة ، هي أوقات الوجود معه .
حتى لو كنا مصلوبين معه كالصليبين ، أو لو كنا نتألم معه
كسولس . يكفي أننا معه . أما أتعبس أوقاتنا فهي هي نحن الحرمان معه .
لذلك نحرص أن نكون معه كل حين ، لا في علاقة رسمية ، إنما في مشاعر
الحب . التي بها إتكا يوحنا على صدره ، والتي بها سكبت الخاطئة دموعها
على قدميه ، لأنها أحبت كثيراً .

من أجل الوجود معه ، عاش آباؤنا في البراري
وكما نفول في الفسمة في القداس الإلهي « سكنوا الجبال والبراري
وشمقوا الأرض ، من أجل عظم محبتهم للملك المسيح » . من أجل متعة
الوجود معه ، تركوا الأهل والمال ، وعاشوا في وحدة كاملة ، ليتمتعوا فيها

بحبه ، منمردين معه في البرية الففرة ، جاعلين شعاهم « لإتحلال من الكل للإرتباط بالوحد » .

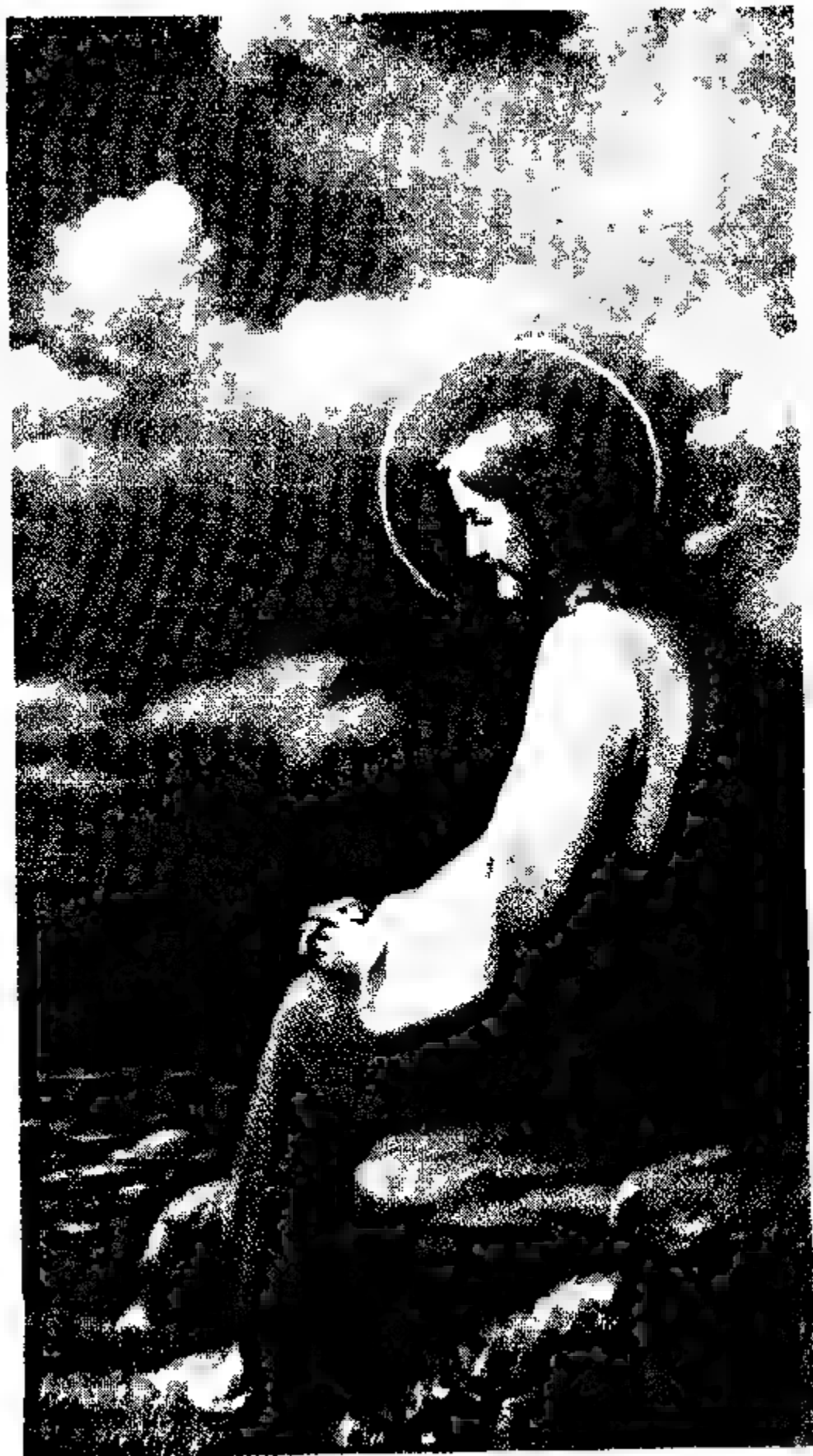
ومن أجل حبه والوجود معه ، ترك آباؤنا الرسل كل شيء وتبعوه ، وقالوا له « إلى من نذهب ؟ كلام الحياة الأبدية هو عندك » (يو: ٦٨) .

إنها نفوس هائمة ، ليس في قلوبها سوى محبة المسيح .
إن المسيحية فيها الكثير من المبادئ والقيم ، والفضائل السمية حد ،
والعقائد الروحية السليمة العميقة . ولكن أجل ما في المسيحية هو شخص
المسيح نفسه .

حتى أن الأبدية بكن أفراحها ، لا تعتبر نعيماً بدون المسيح . المسيح
هو فرحها الكامل ، وهو نعيمها الحقيقي .

والوجود مع المسيح في الأبدية ، هو النعيم الأبدى .
إنه هو الذي علمنا الحب ، وهو الذي ربطنا مع الله برباط الحب ،
ونزع كل خوف من قلوبنا ، ولم تعد وصايا الله مجرد أوامر ، إنما هي مجرد
تعبير عن الحب ، كما يقول « من يحبنى يحفظ وصاياتي »
(يو: ١٤: ١٥ ، ٢١) .

الذي يحب الرب ، يحب الوجود معه ، والذي يوجد معه يحبه ...
ويشعر بفرح لا ينطق به لوجوده مع الله .



مشاعر الفرح ...
بالوجود في حضرة الله

مشاعر الفرح

بالوجود في حضرة الله

حياتنا مع الله ، هي حياة فرح به ، كما فرح لتلاميذ إذ رأوا الرب .
الذين يعيشون مع الرب ، يفرحون لأنهم وجدوه ، و يفرحون لأنهم
عرفوه ، و يصرحون لأنهم صادقوه وأحبه ، ولأنهم ذاقوه ونظروا ما طُيب
الرب ...

حتى في الآلام التي تحيط بهم ، هم بفرحون في الرب على الدوام . قال
الرسول :

إفرحوا في الرب كل حين ، وأقول أيضاً افرحوا (في ٤ : ٤)
تسأله : وأنت يابولس ، هل تفرح بالرب كل حين ؟ فيقول نعم .
وتسأل : وماذا عن السجون والضيقات والآلام والضعفات التي تحتملها
كل وقت ؟ فيخص الموضوع في عبارة واحدة هي « كحزني ، ونحن دائماً
فرحون » (٢ كو ٦ : ١٠) . أمام الناس ، في ظروفنا الخارجية ، في
ضيقاتنا الكثيرة ، نبدو كحزاني . أما في الداخل . فنحن فرحون .

أولاد الله ، يفرحون على جبل الجلجثة ، كما على جبل التجلي .
يفرحون وهم في أتون النار ، كالثلاثة الفتيّة الذين كانوا يسبحون الله
داخل الأتون ، لأن سبب فرحهم كان هو إحساسهم بوجود الله معهم ،
فكانوا فرحين به ...

سبحون ، هم داخل البحر الأحمر ، يحيط بهم الماء من هنا وهناك ،
منسحب ، ولكن لا يغطيهم ولا يطغى عليهم ، انهم انهم فرحون بخلاص
ربهم ، وسيد الرب معهم ... تماماً مثلما كان نوح وسبيل فرحين في
السفن الدحي ، وأرجلهم مضبوطة في المقطرة ، وهما يسبحان الله بصوت
مسموع (أع ١٦ . ٢٤ ، ٢٥) ، شاعرين بوجود الله معها ...

كان بطرس في السجن . وكان الله معه في السجن . لذلك استطاع
أن ينام نوماً ثقيلاً ، بينما كان هيرودس مزماً أن يقتله ! (أع ١٢ : ٦) .
من يستطيع أن ينام في مثل هذه الظروف ؟ ! ولكن بطرس لم يفقد سلامه
ولا فرحه بالرب . وكأن لسان حاله يقول : « إن كانت لي صداقة بإله
هيرودس ، فإن هيرودس سوف لا يضرني بشيء » ...

الشعور بوجود الله ، يملأ القلب فرحاً ، وينسيه آلامه ...

أحد القديسين ، علقوه على خشبة وصلبوه . فن فوق صليبه ، كان
يعظ الناس ، و يدعوهم إلى الإيمان بالمسيح . وحدث في إحدى المرات أن
ثلاثين ألفاً خرجوا من دمنهور إلى الإسكندرية ، لينالوا إكليس الشهادة ،
وهم يسبحون الله في الطريق ، و يغنون الأغاني الروحية ، فرحاً بالرب ،
لشعورهم بوجوده معهم ...

وهكذا فعل القديس أبام الجندي ، حينما لبس أفخر ثيابه ، وامتطى
جوازه وذهب لمقابلة أريانوس ، ليستشهد على يديه ، قائلاً « هذا يوم
عرسي » .

إذن إفرحوا بالرب كل حين ، كما فرح القديسون بالرب ، في كل ظروفهم وأحوالهم .

ولكن ما أسباب فرح القديسين بالرب ؟

إنهم فرحون بصحبته له ، وبعشرتهم له ، فرحون بالتجديد الذى أخذوه في المسيحية ، بهذه الحياة الجديدة الثابتة في الرب ، إذ وجدوا « الأشياء العتيقة قد مضت ، وهذا الكل قد صار جديداً » . إنهم فرحون بالحب الإلهي لذى لمس قلوبهم ، فطهرهم من كل شر ومن كل شبه شر . إنهم - في تمتعهم بالوجود الإلهي - فرحون بعمل الروح القدس فيهم ، فرحون بنعمة الله التي لا تفارقهم .

إنه كما يقول الرسول « فرح لا ينطق به ومجيد » (١ بط ١ : ٨) . إنه فرح النفس بالرب ، فرح لما وجدوه ، باعوا كل شيء واشتروه ... إنه فرح روحاني ، يختلف عن كل أفراح العالم ...

فرح بملكوت الله داخل النفس ... قد يعجب العالم له : كيف تفرحون ، وأنتم بعيدون عن كل شهوات العالم وملأه وترفيهاته وامتعه ، بعيداً عن مباحج المادة ، ولذة الحواس ؟ ... إن الفرح بالرب هو أعمق ... لا يستطيع العالم أن يفرحه .

إنه فرح من الداخل ، لا يعتمد على أسباب خارجية ... أهل العالم يحصلون على أفراحهم من مصادر خارج نفوسهم ... أسباب

... في هذه الحالة ، يركب ...
... في هذه الحالة ، يركب ...
... في هذه الحالة ، يركب ...

... في هذه الحالة ، يركب ...
... في هذه الحالة ، يركب ...
... في هذه الحالة ، يركب ...

حتى في متاع كلهم ، يشعرون بأنهم فرحون بالرب ...

فرحون بالرب الذي يرويه أثناء المشاكل ، يتدخل ، و يعطي عزاء
وصبراً وطمأنينة وسلاماً ، و يعطي حلولاً ما كانت تخطر على فكر إنسان ،
هذا طابعها الخاص الذي يقنع النفس أنها من عند الله ... يفرحون بالرب
الذي لا يتركهم وحدهم ، وإنما يحسون وجوده معهم .

في داخل سرية الصخرة ، في متاهة سياء ، يرون الله ... يرسل
سحبه نظيمه وترشدتهم نهاراً ، و يرسل عمود النور يضئ لهم ليلاً ... إنه
معهم ، يرون وجوده في تابوت عهده ، كما يرونه في الصخرة التي تفجر
ماء ، وفي المس يرثه من السماء ، وفي صوته يتحدث من فوق الجبل ... كل
ذلك في متاهة صخر ...

إن أولاد الله ، دائماً فرحون ... فرحون بوجوده معهم ...

حالة واحدة تحزن الإنسان الروحي ، وهي الانفصال عن الله .
والإنسان الروحي لا يشعر بالانفصال عن الله ، فهو معه في كل
حين . ولكن هذا الانفصال يشعر به إن سقط في الخطية . فالخطية هي
انفصال عن الله ، وبالتالي هي انفصال عن كل فرح ... وهكذا إن سقط
إنسان روحي ، لضعف ، أو لخديعة العدو ، أو لأي سبب ، فإنه يسرع
بالقيام والرجوع إلى الله .

حتى في سقوطه ، يشعر بالله يناديه ، ويساعده على القيام ...
ولولا وجود الله معه ، ما قام . إنه هو الذي ينضح عليه بزوفاه فيطهر ،
ويتوبه فيتوب ، بل يبحث عنه كما يجده . وكما يقول في سفر حزقيال
النبي « أنا أرعى غنمي وأربضها ... وأطلب الضال ، وأسترد المطرود ،
وأجبر الكسير ، وأعصب الجريح » (حز ٣٤ : ١٥ ، ١٦) .

فماذا إن شعر البعض أن الله بعيد وليس معهم ؟
يفرحون بالله الذي سيأتي ، ولو في الهزيع الأخير ...
إن لم تفرح بوجوده الآن ، إفرح بوجوده الآتي « هوذا آت طافراً على
الجبال ، قافراً على التلال » (نش ٢ : ٨) . إنه على الباب يقرع . فلنفتح
له ، ونتمتع بوجوده ، يكشف لنا ذاته ، ويكشف لنا محبته ، ويفتح لنا
قلبه ، ويشعرنا برعايته واهتمامه ...

إننا تراب ورماد . ومع ذلك نشعرنا باهتمامه ...

عجيب هذا الإله المحب ، الذى يعطى أهمية لخليفته بهذا المقدر !
« يهيم المسكين من التراب ، ويرفع البائس من المزبلة . ليجلسه مع رؤساء شعبه » (مز ١١٣ : ٧ ، ٨) . هذا الكائن غير المحدود ، الإله العظيم وحده ، ينظر من علوه المقدس إلى المتواضعات على لأرض ... ! حتى إن كان درهم واحد مفقوداً ، يهتم به ، و يبحث عنه إلى أن يجده ، فيفرح به ، و يدعو الجميع ليفرحوا معه ، و يشعره بوجوده فى حضرة الله المحب ...

الله موجود معك ، فى البروفى السقوط ...

إنه موجود معك ، حينما يعطيك القوة أن تمشى معه فوق الماء ، مثلما فعل مع بطرس ، وأحس هذا القديس بوجوده مع الله .
و حينما يضعف إيمانك ، وتسقط فى الماء ، مثل بطرس أيضاً ، تشعر بوجود الله ، الذى يجذبك من الماء ، لتمشى معه مرة أخرى ... فوق الماء .
لذلك نحن نفرح بالرب كل حين ، لأنه موجود معنا فى كل حين ، سواء كنا نحن معه أو لم نكن ، شعرنا بوجوده أو لم نشعر ...

إنه موجود فى حياتنا . ونحن نفرح بوجوده فيها ...

ونصلى باستمرار أن نشعر كل حين بوجوده معنا ، لكى يزداد فرحنا به ... ولكى نشعر نحن بهذه الشركة المقدسة ، شركة الله فى حياتنا ، وشركتنا نحن معه ، فى الحب ، وفى العمل ...



مشاعر السلام ...
في الوجود مع الله

مشاعر السلام في الوجود مع الله

إن أول عبارة كان يقولها الرب ، حين يتقى بأحبائه هي « سلام لكم » (لوقا : ٢٤ : ٣٦ ، يوحنا : ٢٠ : ١٨) . وقبل صلبه ، لكي يعزى تلاميذه بأنه سيكون معهم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر ، قال لهم « سلامي أترك لكم ، سلامي أنا أعطيكم » (يوحنا : ١٤ : ٢٧) .

كل من يوجد في حضرة الله ، يشعر بسلام عميق .

يشعر باطمئنان داخلي ، لوجوده مع الله . يشعر بالسلام الذي يشعر به البحارة حينما يصلون إلى الميناء ، فيستريحون فيه . كذلك من يجد راحته في الرب ، يشعر بسلام... مثال ذلك قول القديس أوغسطينوس للرب « ستظل قلوبنا في قلق ، إلى أن تجد راحتنا فيك » .

في هذا السلام ، يخفى كل خوف ، وكل قلق واضطراب .

إن كانت حالة الوجود مع الله ، تعني الإحساس بسكنى الروح القدس داخل القلب ، فإن من ثمار الروح محبة وفرح وسلام (غلا : ٥ : ٢٢) . ولا شك أن المحبة والفرح ينشئان سلاماً داخلياً... أخيراً وجدتني يارب ، فامتلاً قلبي فرحاً ، ولساني تهليلاً ، وأصبح في قلبي سلام . سلام معك ، إذ قد تصالحنا ، مادمت أنت موجوداً في وأنا فيك .

يفقد الإنسان سلامه بالخطية ، فالخطية هي انفصال عن الله .
 في حالة الخطية ، يستعد الإنسان عن الله ، لا يسعد بوجود معه ،
 لذلك يفقد سلامه حقاً « لا سلام - قال الرب - للأشترار »
 (أش ٤٨ : ٢٢) . هكذا حدث لآدم - خطأ ، حاف ، ختن ، لأنه
 انفصل عن الله . وكان من قس في سلام ، وهو ساعد بالوجود في حصرة
 الله . وقاين أيضاً فقد سلامه ، وأصبح قديماً ، وتائها وهارب في الأرض ،
 لأنه انفصل بالخطية عن الله ، كما قال « من وجهك أختفى ، وكون تائهاً
 وهارباً في الأرض » (تك ٤ : ١٤) .

إن الوجود مع الله هو السلام الحقيقي ، لذلك قال لمرثا في لزمور
 « صرفت وجهك عني فصرت قلقاً » (مرث ٣٠ : ٧) . من أجل هذا كانت
 أعمق صرخة يوجهها المصلى إلى الله هي :

لا تحجب وجهك عني ، لا تطرحني من قدام وجهك (مر ٥٠)

إن داود النبي ، وهو شاعر بوجوده مع الله ، كان يغني على المزمار
 والفيثار في فرح وهبيل ، ويدعو الناس إلى مشاركته ، فيقول « هسوا
 للرب يا كل الأرض . اعبدوا الرب بالصريح . دخلوا دياره بالهيبيل »
 (مر ١٠٠ : ٢٠١) . ولكنه لم أخطأ ، ولم يعد يسعد بوجود سابق في
 حصرة الله ، قال « إنشني يا رب فإن عظمي قد اضطرب ، وبني قد
 نزعجت جداً » (مز ٦) . هذا الاضطراب وهذا الإزعاج ، كان لهم

وجود ، وهو مع الله . فبالخطية يفقد الإنسان سلامه « الأشرار كالبحر المضطرب ، لأنه لا يستطيع أن يهدأ . وتقذف مياهه حمأة وطيناً . لا سلام ، قال إلهي للأشرار » (أش ٥٧ : ٢٠ ، ٢١) .

ولكن متى يرجع إلى الخاطيء سلامه ؟

عندما يتوب ، ويعود للوجود مع الله ، يعود إليه سلامه ...

لهذا عندما يتوب الخاطيء ، و يتخلص من حمل خطاياها ، و يسمع صلاة التحليل ، و يشعر أنه قد اصطلع مع الله ، وعاد إلى أحضانه مرة أخرى ، حينئذ يشعر بالفرح و بالسلام ...

• كان فاقداً سلامه لشعوره بأنه قد أحزن روح الله داخله . وانفصل عن الرب ، وفقد العزاء الداخلى النابع من الوجود مع الله ، ولم تعد له دالة معه ، ولم يعد له وجه يستطيع أن يرفعه إليه . أما بالتوبة فقد استعاد كل هذا ، ورجع إلى الله وإلى عشرته .

إن الشعور بالحرمان مع الله ، قد يفعل ما هو أكثر من فقدان السلام . قد يوصل إلى الكآبة الدائمة ، وإلى فقد الأعصاب ، وإلى اليأس القاتل ، وقد يؤدي إلى الانتحار كما حدث ليهودا ...

أما الرب - في وجوده معنا - فيعطى سلاماً لكل من يعتصم به ، حتى لأدنس الخطاة ...

أنظروا إلى المرأة التي ضبطت في ذات الفعل ، كيف كانت في خجل

ميت ، وفي عار . وقد أمسك بها الفساة لكي يرحمها بالحجارة ... ولكنها لما وجدت في حضرة الرب ، أعاد إليها سلامها . دافع عنها ، وحصلها من الذين دأبوا ويريدون قتلها . وقال لها عذرتي المملوءة عزاء (وأنا أيضاً لا أدينك) (يوحنا ٨ : ١١) ، قضت من عنده بسلام ، سلام من تخصص من الدينونة ... كما قل أيضاً للخاطئة التي بت قدمه بدموعها « مغفورة لك خطاياك ... إذهبي بسلام » (لوقا ٧ . ٤٨ . ٤٩) .

وفي الوجود مع الله ، كما يشعر الإنسان بسلام من جهة دينونه خطاياهم ، يشعر أيضاً بسلام في ضيقاته ومخاوفه :

حي إدا « تزعزعت الأرض ، وانفعلت الجبل إلى قبب البحر »
بصيح لمركل في ثقة « الرب إله الموت معنا ، ناصرتنا هو إله يعقوب »
وبدعو ساس ، من ركبته في فرجه قائلاً لهم « هموا فانظروا أعمال الرب ، نبي جمعها آيات على لأرض » (مزمور ٤٦) .
أليسع الذي كان يرى الله وعمه معه ، لم يخف حين كان جنود الأعداء ، محطته ومدة ، فما نمبذه جبحري وخاف ، لذلك صي أيسع من أجبه قائلاً « فتح يد الرب على الغلاء فيرى » .

نحن محتاجون أن نفتح الله أعيننا ، ليرى وجوده معنا ...

حينئذ نطمئن ونجد في سلام ، واثقين بعممه ، وبأن قوة سماوية تحيط بنا . وبأن الله قد أرسل ملائكته لتحفظنا من كل شر ومن كل صرنة ، ونحن دائماً في حمي الله الذي نشعر بوجوده معنا . وهكذا في كل

مشكلة تصادفنا ، بقول هذه العبارات الثلاث :

مصيورها تنتهى - ربنا موجود - كله للخير...

بالإيمان أن ربنا موجود معنا ، نثق أن كل مشكلة لا بد ستنتهى وأن كل الأشياء تعمل معاً للخير ، لنذبح يحبون الرب » (روم ٨ : ٢٨) .
ضع الله بيننا وبين الضيقة ، فتختفى الضيقة ، ونرى الله وحده ، فى محبته
حنانه ورعايته .

**وهكذا سلامنا لا ينبع من أسباب خارجية ، وإنما من إيمان
اخلنا ، بوجود الله معنا وبعمله لأجلنا .**

الله الضابط الكل ، الصانع الخيرات ، الحافظ المعين المنقذ...
إننا لا نفكر فى الضيقة ، بل فى الله الذى يحلها . أما الذى يركز فى
ضيقات ، ناسياً وجود الله ، فإنه يتعب .

وهذا واضح فى الحياة العملية ، بأمثلة كثيرة :

أم يتأخرانها الصغير ليلاً ، فتضطرب جداً ، وتفكر فى حوادث
سيارات ، وحوادث الخطف ، وأذية الناس لإبنها ... وتقلق . ترى أين
ها الآن ؟ فى مستشفى ؟ أم مات ؟ أم فى بيت غريب ... ؟ على أن هذه
م . لو فكرت فى الله الذى « يحفظ الأطفال » (مز ١١٦) لاستراحت
غمأنت .

مثال آخر : إثنان يبيتان فى مغارة فى الجبل : أحدهما يفكر فى الذئاب
شعابين والحيات والعنارب ودبيب الأرض ، فيخاف ولا يقدر أن ينام ،

و ينتظر شراً و خطراً في كل لحظة !! أما الآخر ، ذ يؤمن ب وجود الله معه
وحفظه له ، يبيت مطمئناً .

إن الظروف الخارجية واحدة ، ولكن مشاعر القلوب تختلف !

فيمقد الإنسان سلامه ، إن فقد شعوره بوجود الله معه .

طفل في ميدان عام ، عوج بوسائل المواصلات ، لا يخاف مادام يشعر
أن يد أبيه ممسكة بيده . أما إن شعر أنه وحده ، وأباه ليس موجوداً ، فإنه
بصرخ في فزع . هكذا نحن في شعورنا بوجود الآب السماوي معنا . وهكذا
بطرس على الماء ، في شعوره بيد المسيح ممسكة بيده ...

إن نظرت إلى البحر تخاف . أنظر إلى عصا موسى ...

حينئذ تطمئن ، وتشعر بقوة إلى جوارك هي قوة الله العاملة مع موسى
وعصاه ، وإذا تتأكد من وجود الله وعمله ، تتذكر قول موسى « الرب
يقاتل عنكم وأنتم تصمتون » .

بكل اطمئنان وسلام قبي ، كان الشهداء يتقدمون إلى الموت ، غير
مفكرين في العذابات ، إنما كان يفكرون في الوجود مع الله في لأبدية
فيمتثلون سلاماً .

في الوجود مع الله قوة وشجاعة وعدم خوف ...

إن القديس بولس الرسول ، الذي يشعر بوجود الله معه وفيه ، الذي
قال « بل المسيح يحيا في » (غل ٢) والذي قال « وأوجد فيه »

(في ٣) وهو أيضاً قال عبارته الخالدة « أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني » (في ٤ : ١٣) . كان يشعر بقوة معه ، أو بقوة الله معه ...
لذلك كان بكل جرأة يشهد لكلمة الله ، وكانت لكلماته قوة . وفيما هو يتكلم عن البر والدينونة والتعفف ، إرتعب فيلكس الوالي ، الذي كان بولس أسيراً أمامه ! (أع ٢٤ : ٢٥) .

وإيليا النبي ، الذي كان أيضاً يشعر باستمرار بوجوده في حضرة الله ، وكان يقول « حي هورب الجنود الذي أنا واقف أمامه » (١ مل ١٨ : ١٥) . إيليا هذا ، استطاع بكل شجاعة أن يذهب إلى آخاب ويبكته (١ مل ١٨ : ١٨) . وبنفس الشجاعة ، يوحنا المعمدان بكت هيرودس .

بنفس الشجاعة دانيال النبي ، صعد إلى عليّة منزله ، وفتح نافذته المطلّة على أورشليم ، وسجد لله العلي ، ولم يخف من جب الأسود ... إن كان الله موجوداً في كل مكان ، فهو موجود أيضاً بلا شك في جب الأسود ، يستطيع أن يحمي وأن ينقذ ...

الذين يشعرون بالوجود مع الله ، لا يخافون حتى من الشياطين ...
إن حياة القديس الأنبا انطونيوس مثال واضح لذلك ... بل له مقالة عن ضعف الشياطين . الذين لهم وجود مع الله ، ليس فقط لا يخافون الشياطين ، بل يطردونهم ، لأن الله أعطاهم سلطاناً على قوة العدو ، وكما قال الرسول « قاوموا إبليس فيهرب منكم » (يع ٤ : ٧) .

جميلة عبارة « يهرب منكم » ! ... منظر رائع أن ترى الشيطان يهرب من إنسان ! ولكنه الإنسان الذى يكون الله موجوداً معه . كما كانت تهرب من داود النبي الشياطين التى تحارب شاول ، ذلك لأن داود حل عليه روح الرب . وكان الرب معه ، وبوجوده معه تخافه الشياطين ...

إن الوجود مع الله ، وجود فى حالة البر والقداسة ...

وهذه القداسة تخافها الشياطين . إن مجرد ذكر اسم القديسة يوستينة ، جعل الشيطان يهرب ، فلمن كبر يانوس الساحر ...

كل إنسان يشعر بوجوده فى حضرة الله ، لا يستطيع أن يخطئ ، والشرير لا يمس . مثلما كان يقول يوسف الصديق « كيف أخطئ ، وأفعل هذا الشر العظيم أمام الله » ؟ ! ...

الإنسان الموجود مع الله ، هذا يسكن فيه روح الله ، وبسكنائه فيه ، تظهر ثمار الروح فى حياته ، ومنها الصلاح أى البر ، ومنها الفرح والسلام ...

لذلك إن أخطأ إنسان ، بدلاً من أن نبحث الأسباب الخارجية التى دعت به إلى الخطية ، علينا أن نسأل سؤالاً واحداً وهو : هل الله موجود فى حياة هذا الإنسان أم لا ؟

إن كان الله موجوداً فى حياته ، تكون حياته براً وفرحاً ...

وتكون حياة محبة وسلاماً . بل تكون حياته هى صورة للملكوت الله على الأرض ...

ما أجل الوجود مع الله . إنه متعة الروح هنا على الأرض ، وهو أيضاً
عيمها الأبدى في السماء .



فهرست

صفحة

تصدير	٥
١ - الوجود مع الله	٧
٢ - أوقات الإحساس بالوجود مع الله	٣١
٣ - شهوة الوجود مع الله	٤٥
٤ - طبيعة العلاقة مع الله	٥٣
٥ - مشاعر الوجود مع الله	٦١
مشاعر الحب	٦٥
مشاعر الفرح	٧٥
مشاعر السلام	٨٣
فهرست الكتاب	٩٣